

800

والعصر

تيرانتين الديرسيدي

800

الديكتور
محمد صالح ناهر



100

مكتبة الصفاي للدراسات والنشر والتوزيع

ص ب ٢ السيب الرضا الهريدي
سلطنة عمان

J. ALJAFAL

تراثنا الإسلامي والعصر

مَكْتَبَةُ الضَّامِرِي

سَلْطَنَةُ عُمَانَ

1415 هـ / 1995 م

تراثنا الإسلامي والعصر

مكتبة الضامري للنشر و التوزيع

مكتبة الضامري للنشر و التوزيع

ص ب ٢ السيب الرمز البريدي ١٢١

هاتف ۹۵۵۵۸۷

سلطنة عمان

البرکتور / محمد صالح المنجد

مدخل:

معنى كلمة «التراث»

تجمع المعاجم العربية على أن كلمة «تراث» مأخوذة «من فعل» «ورث» وأن التاء فيها مبدلة من الواو، فالعرب يقولون ورثت الشيء من أبي أرثه وراثته وارثا. وفي القرآن الكريم. ﴿وورث سليمان داوود﴾ النمل / ١٦.

ويجمع اللغويون على أن التراث هو ما يخلفه الرجل لورثته، وأن تاءه أصلها الواو، أي الوراثة. وله نظائر في كلمات أخرى منها مثلاً التجاه التي أصلها الوجه أي الجهة. ومن هذه النظائر أيضا التقى التي أصلها الوقى، وقد دار قلب الواو المتعددة لهذه الكلمات باء لأنها اجلد من الواو وأقوى ولا تتغير بتغير أحوال ما قبلها (١).

ويسوي ابن الاعرابي (ت: ٢٣١ هـ) بين كلمة التراث وبقية الأسماء المشتقة منها فيقول. الوراثة، والإرث، والوراثة، والإراث، والتراث، واحد (٢).

(١) عبدالسلام هارون، قطوف أدبية، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٧٧.

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة: ورث.

وقد وردت الكلمة بهذه الصيغة في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ الفجر / ١٩.

ومعناها كما يقول المفسرون وتأكلون الميراث أكلا لما دون التحرج من الطريقة التي جاءكم بها حلالا كانت أم حراما، ولعله تعريض بما يفعله العرب في جاهليتهم التي كانوا يمنعون فيها توريث النساء وصغار الأولاد، فيأكلون نصيبهم ويقولون «لا يأكل الميراث إلا من يقاتل ويحمي حوزة القوم، وكانوا يلمون جميع ما تركه الميت من حلال أو حرام ويسرفون في إنفاقه».

ومما ورد في الشعر القديم قول سعد بن ثابت وهو شاعر إسلامي كان بلال بن أبي بردة قد هدم داره لأنه أصاب دما في قوم:

فان تهدموا بالغدر داري فانها

تراث كريم لا يبالي العواقبا

وظلت هذه الكلمة محدودة الاستعمال تنوب عنها اختها «الميراث» في كثير من مجالات استخدامها إلى أن أطل علينا العصر

الحديث، وفي ظل المواجهة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. بدأت تشيع على ألسنة الكتاب والباحثين والمحققين هذه الكلمة. وتطورت في معناها ومدلولها اللغوي، فأصبحت تشمل في معناها الواسع نتاج الحضارة في جميع ميادين النشاط الانساني من علم، وفكر، وأدب، ومأثورات شعبية، وآثار، ومعمار، وتراث فلكلوري، واجتماعي، واقتصادي. (١).

وهكذا اتسع مدلولها ليعبر عن الحضارة بكل جوانبها، ومن ثم فإن كلمة التراث بمشتقاتها المتفرعة عنها، كثيرا ما صاحبت التغيرات التي تعرفها أمتنا العربية والاسلامية في مراحلها التاريخية الحاسمة، ومن أهمها في عصرنا الحديث ما تمخضت عنه الحرب العالمية الأولى من صراعات جادة بين أمتنا من جهة وبين الصهيونية والغرب من جهة ثانية، فلم يعد غريباً إذا أن تأخذ هذه الكلمة أبعاداً سياسية واجتماعية، تعبيرا عن مشاعرنا، وكما نلاحظ هذا التغير والإتساع بعد عودة الوعي الإسلامي إلى الذات العربية ولا سيما في الستينيات التي أفرزت المواجهة بين الداعين الى التمسك بمقومات الشخصية لغة ودينا كعامل من عوامل التحدي والثبات لمواجهة أعداء أمتنا، وبين

(١) د. محمد عبدالقادر احمد، دراسات في التراث العربي، القاهرة ١٩٧٩، ص ٥.

أولئك الذين يزعمون أن هذا التمسك بالتراث والرجوع إليه هو في حد ذاته من الأسباب الأساسية التي أدت بنا إلى الإنهزام والإنكسار.

فأصبح الصراع حيثئذ بين الداعين إلى المقومات الشخصية الأساسية والتي من بينها التراث، وبين الداعين إلى المعاصرة والحداثة الذين لا يرون سبيلا إلى الإنبعاث والنهوض والقدرة على مواجهة التحدي الأجنبي والصهيوني إلا بالتخلي عن الذات بتقليد الغرب في كل شيء.

ومن هنا نلاحظ كيف توسع مدلول هذه الكلمة من الميراث الذي يعني كل ما يخلفه الرجل لورثته، إلى مدلول حضاري واسع يشمل مجموعة ما تعتز به الأمة من تجارب ومعطيات، ومكونات حياتها الشاملة، وعوامل التأثير والصياغة في هذه الحياة (١).

والذي يعيننا نحن في هذا البحث جانب أساسي من هذا المفهوم الواسع وهو التراث الفكري المتمثل في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة، بعضها نقراه مطبوعا وأغلبه ما يزال

(١) د. عبدالله فهد النفيس، التراث وتحديات العصر، ص ١٣.

في رفوف المكتبات في كل أنحاء العالم محفوظا ينتظر جهود الأفراد والدول ليرى النور ويؤدي دوره الذي من أجله بذل الجهد والوقت والمال.

ونود قبل أن نتحدث عن أهمية التراث الفكري أن نجيب عن تساؤل لا شك في أنه يلح على القارئ الكريم وهو «ما هي المدة الزمنية المعينة التي نستطيع معها القول عن أثر فكري ما هو تراث أم غير تراث؟

يقول عبدالسلام هارون وهو من المحققين البارزين في هذا المجال:

«ليست هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث كان، فكل ما خلفه مؤلف من إنتاج فكري بعد حياته - طالت تلك الحياة أو قصرت - يعد تراثا فكريا (١).

ومهما تختلف نظريات الباحثين حول تحديد المدة الزمنية التي يسمح معها استخدام هذه اللفظة، فإن النظرية الغالبة، وهي المتطابقة مع الواقع والمستجيبة للمفهوم الدقيق لهذه الكلمة - هي أنه

(١) هارون، قطوف، ص ٧٩.

يتساوى في إطلاق هذه اللفظة كل أثر يتركه الميت دون تحديد مدة معينة تمر على زمن وفاته، فالذي مات قبل مائة عام يتساوى في هذا المعنى مع من مات البارحة.

أهمية التراث وضرورته

إن التراث الفكري لأية أمة من الأمم هو ذاكرتها التي يرسم فيها ماضيها، وهو قلبها النابض الذي يدفع دم الحياة في شرايينها، وهو المقياس الذي تقاس به مكانتها في الحضارة الإنسانية، وبكلمة مختصرة: إن التراث هو الماضي، والحاضر، والمستقبل.

هو الماضي لأنه ولید تجارب سابقة قد تكون ضاربة في القدم آلاف السنين، وهو الحاضر لأننا كما يستحيل علينا أن نتصور شجرة وارفة الظلال دون جذور راسخة في الثرى، كذلك لا نتصور أمة حية تواكب الحياة وتسايروها وهي لا تستمد هذه الحياة من ماضيها وتجارب سابقتها.

ولأنه المستقبل لأن المستقبل ولید تخطيط وإعداد يومي، والشجرة الوارفة التي تحدثنا عنها لا يمكن أن تعطي الثمار فيما يستقبلها من الأيام إن لم تجد من رعايتها السقي والتشذيب والعناية الكافية.

ومن ثم فإن الأمم حين تعنى بتراثها الفكري جمعا ودراسة، تحقيقا وتعليقا، إنما هي تعنى في حقيقة الأمر بكيانها ووجودها،

وهو ما يجعل التراث الفكري من أهم ما تملكه الأمة من ثروات لا يمكن إهماله أو إغفاله. فالتراث الفكري هو الذي يحدد هوية الأمة ويحدد مكانتها في الحضارة الإنسانية. وهو الذي يحدد مستقبل الأمة ويحدد مصيرها.

لذلك فإن الاهتمام بالتراث الفكري ليس من الكماليات بل من الضروريات. وهو الذي يحدد مصير الأمم ويحدد مستقبلها. وهو الذي يحدد هوية الأمم ويحدد مكانتها في الحضارة الإنسانية. وهو الذي يحدد مستقبل الأمم ويحدد مصيرها.

والذي يعني نحن في هذا البحث جانب أساسي من هذا الموضوع. وهو التراث الفكري الذي يحدد هوية الأمم ويحدد مكانتها في الحضارة الإنسانية. وهو الذي يحدد مستقبل الأمم ويحدد مصيرها.

(١) د. عبد الله النور، التراث والفكر، ص ١٧.

وإهمالها له خطوة أولى نحو الإنحلال والذوبان، وعلامة من علامات الشيخوخة والوهن.

والمتبع للنهضات الفكرية لدى الأمم المتحضرة شرقية كانت أم غربية، يلحظ بأنها ترسي قواعدها على بعث تراثها الفكري أولاً وقبل كل شيء، بل هي لا تستطيع أن تكون ذات حضارة إلا بقدر مالها من فكر وعلم.

وما من أمة من الأمم إلا وقد تعرضت حضارتها للسنن الكونية من ضعف ثم قوة ثم ضعف، كالإنسان تماماً ينشأ طفلاً، ويستوي شاباً، ثم ينتهي شيخاً.

وقد تتجمع بعض العوامل الذاتية أو الخارجية فتصيب هذه الأمة أو تلك بالوهن والتمزق والضياع. كما هي حال أمتنا الإسلامية اليوم، ولكن حتى في هذه الحالة فإن استرجاع القوة، والتلاحم، والثبات، مرهون بشعورها بذاتها ومدى وعيها بمقوماتها، وهل ثم ذات أو مقوم بغير العلم والفكر؟ وهل يوجد علم أو فكر لا يستمدان أصالتهما من الماضي؟

وهل يوجد ازدهار أو استقرار وهو غير مؤسس على المعطيات

الذاتية المعنوية والمادية؟

لذا كان لزاماً على أمتنا الإسلامية أن تستمد وعيها بذاتها من نفس عميق تتنفسه من هذا الهواء النقي غير الملوث بحضارات دخيلة، أو تجارب هجينة. فان هذا النفس القوي كفيل بأن يزود الدم بالأوكسجين الضروري لحياتنا، ومن دون هذا النفس القوي الذي يملأ الرئتين، سنظل نشكو من فقر الدم في أحسن الحالات أو نصاب بداء فقدان المناعة في أسوأ الحالات. وفي كلتا الحالتين نكون مهددين بالموت والفناء في كل لحظة - لا قدر الله -.

وإذا كانت هذه هي مكانة التراث بالنسبة لحياة الأمم في مفهومه العام، فان الأهمية التي يجب أن يلقاها التراث الفكري عندئذ أولى وأحرى، لأن المظاهر الحضارية الأخرى كالمعمار، والآثار، وطرق الري، والفنون التقليدية، والفلكلور الشعبي، وما أشبه، تتعلق بأشياء مادية. أما التراث الفكري فيتعلق بخلاصة التجارب في هذه الميادين كلها.

ومن ثم نجد أحد المحققين المسلمين البارزين في عصرنا الحاضر وهو الأستاذ عبدالسلام هارون يذهب إلى أبعد من هذا حيث يذهب

إلى أن في الانسان شعوراً غريزياً يدفعه الى العناية بترائه الفكري والحنين اليه، فهو في اعتباره لا يقل أهمية عن الوطن الذي يرتبط به ارتباطاً مادياً ومعنوياً. فإذا كان حنينه إلى الوطن وليد تعلق بالمهد الذي ربي وترعرع فيه فإن حنينه الى تراثه الفكري هو الحنين الى المهد الاول لتفكيره ولنفسه.

يقول: «... وكما أن الوطن هو المهد الأول لجسم الإنسان يحن إليه كلما بعد به المطاف في بلاد الله، ويشعر في قرارة نفسه بحبه وتفديته والإستهانة ببذل المال والنفس في سبيل الحفاظ عليه، ويدين له أبداً بالولاء والإعزاز مهما أغرته المغريات وباعدت بينه وبين أرضه ضرورات العيش، كذلك يعد التراث الفكري هو المهد الاول لتفكيره ولنفسه، وأي انفكاك بين المرء ووطنه، أو بين المرء وتراثه، يخلق منه أمراً تتجاذبه أطراف الضياع، وفقدان النفس، وضياع النفس مدعاة إلى التفكك والتخلخل. والشعور بالبؤس والمذلة اللتين لا تطيب معهما الحياة...» (١).

(١) المصدر السابق، ص ٧٩.

تطور حركة إحياء التراث

- ارتبطت حركة إحياء التراث في العالم العربي باليقظة التي عمت كل أقطارها ولا سيما بعد الحرب العالمية الاولى. ولو أن بعض المؤرخين يربطون هذه الحركة بحملة نابليون على مصر اعتباراً من أن هذه الحملة كانت بمثابة الصدمة بين حضارتين شرقية وغربية. فقد كان من نتائج هذا الوعي أن أحس المثقفون الواعون في تلك الأقطار بإبراز عظمة تاريخهم، وأنهم هم وحضارتهم ليسوا عالة على ما جاء من الغرب أو ملكاً لأولئك الأجانب الذين جاؤوا يمثلون السيطرة والاستغلال والتعالي (١).

وإذا كان الوعي بالذات هو الطابع العام لهذه اليقظة فإن الصدمة الحضارية بهزتها العنيفة جعلت المثقفين يختلفون في تبني أسلوب واحد في مواجهة هذه الصدمة، من بينهم من يرى أن لا خلاص من التبعية والاستغلال والاستعمار إلا بالاستقلال بآتم معنى الكلمة، أي بمواجهة الحضارة الغربية بحضارة إسلامية تضمن الحصانة وتثبت للتحدي. ومن بينهم من أصيب بحالة من الإنبهار بالنموذج الغربي، فرأى أنه لا سبيل إلى اللحاق بركب الحضارة

(١) د. عبدالمجيد دياب، تحقيق التراث العربي، ص ١٠٨.

والمعاصرة إلا بالإنسلاخ الكامل من موروثاتنا كلها وتقمص الشخصية الأوروبية.

لعل هذه النظرة المتهافئة تعد في حد ذاتها دافعا قويا لأولئك الذين رأوا الخلاص الوحيد في إحياء التراث الإسلامي بطريقة تتماشى مع واقع ما بعد الحرب العالمية الأولى أي أنها تحيي التراث بطريقة عصرية متجددة.

والواقع إن هذا القسم الذي تبنى هذه النظرة لا يخلو من متطرفين مغالين «ينزعون للاعتزاز بالأباء والأجداد ودورهم التاريخي وإسهاماتهم في مجال الحضارة والثقافة والعلوم دون إحياء لهذا الدور، وكأنهم بذلك يحاولون تجاوز حالة الشعور بالذل والإنكسار النفسي التي أوقعتنا فيها الصدمة الحضارية فانغمسوا في تعظيم البطل لكنهم عجزوا عن البطولة (١)».

ولا يخفى ما في النظرة المنبهة بالنموذج الغربي ولا ما في النظرة المنظوية على النموذج الأبوي من اختلال أو انحلال جعلت بعض الدارسين يقول عنها وهو على صواب في ذلك.

(١) د. النفيس، التراث.. ص، ١٢.

«وقد لا يجد الإنسان المتأمل كبير فارق بين دعاة المعاصرة هؤلاء الذين لا يرون سبيلها إلا بالتخلي عن الذات المترافق مع الشعور باستحالة اللحاق بالعصر الذي يشل الامكانية ويعطل الفاعلية فيدعون الى تقليد الغرب في كل شيء، وبين الترائين (كذا) أولئك الذين يقتصرون على الفخر بالماضي والإعتزاز به بحجة أن الأولين لم يتركوا للآخرين شيئا... إنهم يقفون على أرض واحدة ويتنفسون هواء مناخ واحد هو مناخ الواقع المتخلف (١)».

وامتدادا لتلك النظرة المنبهة بالنموذج الغربي نجد من الدارسين اليوم من يزعم أن الذين تحملوا عبء إحياء التراث العربي «هم العصريون المجددون ممن اتصلوا بالغرب الحديث أوثق اتصال، ونهلوا من موارد ثقافته (٢)».

والواقع يصعب على المرء أن يعلق هذا الشرف بصدر أناس لم يؤمنوا بالتراث باعتباره جزءا من الحضارة الإسلامية، ولم يتخذوه وسيلة للإحياء والنهوض، ولم يقيموه على أساس أنه البديل عن الثقافة الأجنبية الوافدة.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) ذياب، تحقيق التراث، ص ١٠٩.

ولا يخفى ما في هذا الرأي من التهافت لأنه يشير من طرف خفي إلى أن طرق الإحياء، ونشر التراث، وتحقيقه، جاءتنا عن طريق المستشرقين، ونحن لا ننكر دورهم كما سنوضح هذا فيما بعد. ولكن الواقع التاريخي يؤكد أن حركات إحياء التراث ارتبطت بمؤسسات ذات طابع إسلامي، وأن الذين سهروا على هذه الذخائر والكنوز والنفائس علماء أجلاء حملوا مشعل النهضة الثقافية منذ مطلع القرن العشرين، وتوزعوا في بقاع شتى من العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً، وما من شك في أن تلك الجهود قد تفاوتت بقدر ما تنوعت وتباعدت، ويؤكد هذه النظرية أحد رواد التحقيق في العالم الإسلامي حيث يقول:

«لقد كانت فكرة إحياء التراث والنشاط فيه فكرة قومية، قبل أن تكون فكرة علمية، فان طغيان الثقافة الأوروبية والنفوذ التركي وضغطه كاد أن يأخذ بمخنق العرب في بلادهم، فأرادوا أن يخرجوا إلى متنفس يحسون فيه بكيانه المستمد من كيان أسلافهم، في الوقت الذي ألفوا فيه الغرباء من الأوروبيين يتسابقون وينبشون كنوز الثقافة العربية فانطلقوا... (١)».

(١) هارون، قطوف... ص ٧٣.

(٢) هارون، قطوف... ص ٧٣.

والذي يجسد هذه النظرية في مسار التاريخ الإسلامي الحديث، هو أن المتتبع للحركات الإصلاحية والنهضات القومية في العالم الإسلامي يجدها تتخذ من وسائل النهوض والشعور بالذات تحسيس أبناء جلدتهم بالاهتمام بالتراث والعودة إليه، والعب منه، والتعمق فيه، ودراسته وإخراجه للناس إخراجاً يتماشى مع العصر.

نلاحظ هذا الإتجاه عند جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، والكواكبي، وسعد زغلول، وأحمد زكي باشا شيخ العروبة، ومحب الدين الخطيب، والشيخ أطفيش، ونورالدين السالمي، وعبد الحميد بن باديس، والشيخ بيوض، وأبو إسحاق إبراهيم أطفيش وغيرهم من رواد التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي.

لقد تيقن هؤلاء تحت وطأة الصدمة الحضارية التي فتحت عيونهم وشحذت أذهانهم، أن الغرب حينما تغلب على الأمة الإسلامية وأصابها بالتمزق والضياع، إنما تغلب عليها بالعلم والتكنولوجيا، أو بعبارة أدق تغلب عليها بسلاح الفكر والمال، وأن الأمم الإسلامية لم تقع أسيرة الاستعمار الاستيطاني، والتبعية الاقتصادية، إلا عندما أهملت هذين العنصرين، وعوا ذلك وقدروه

ووعوا في الوقت نفسه أن هذه الأمة بالذات كانت القائمة لا المقودة،
الرائدة لا المقلدة، فكان هذا التقدير وذلك الوعي في حد ذاته كافيين
لأن يثيرا التساؤل عن أسباب النهوض، ويحركا الهمم لتعود الى
التاريخ بحثا عن وسائل الرقي في تراثنا الفكري، وتنقب في بطون
الكتب عن عوامل الغلبة والتمكين. لقد صاحب هذا الاحساس
تلك الجامعات اللغوية التي أخذت تؤسس في العالم العربي في مصر،
وسوريا، والعراق، والأردن، وغيرها تعبيرا عن التمسك بالذات في
مواجهة التحدي الحضاري، ووعيا بأن الرقي لا يكون برفض
النموذج الغربي رفضا كلياً وإنما نأخذ منه الإيجابيات ونرفض
السلبات. ونستفيد من التجارب الإنسانية دون انسلاخ من مقوماتنا
لغة وديننا، بعبارة مختصرة وعوا أن الالتقاء مع الحضارة الغربية ينبغي
أن يكون في استغلال الوسائل لا في تحطيم البدائل.

وهكذا ظهرت إلى حيز الوجود نهضة علمية تراثية قوية
تستخدم كل الوسائل الحديثة لإحياء التراث الفكري وإغنائه والإ
ستفادة منه. تمثلت هذه الوسائل في المطابع، والمؤسسات التعليمية،
والنوادي الثقافية، ودور النشر، وقوي هذا الاتجاه في العشرينيات
والثلاثينيات حتى إننا لنجد في العالم العربي مؤسسات علمية تكاد

تكون متخصصة في نشر التراث الفكري وإحيائه.

وكانت لبنان هي الرائدة في هذا المجال بحكم احتكاكها المبكر
مع النموذج الغربي عن طريق المسيحيين، وبحكم ما يتمتع به
اللبنانيون من حس تجاري، فكانوا وما يزالون متفوقين في مجال
الصناعة بصفة عامة دون النظر الى التخصص في هذا المجال المعرفي
أو ذاك أو هذا الاتجاه أو ذاك. فهي من هذه النظرة تعد مساعدة
بالوسائل التقنية المتطورة، والتجربة الفنية العريقة.

ولكن عندما نتحدث عن إحياء التراث العربي الإسلامي بصفة
خاصة، - وهذا ما يعنينا هنا - تكون الريادة لمصر، وسوريا،
والعراق، بدون منازع. ولعل من الوفاء والتقدير أن نتذكر على
سبيل المثال لا الحصر بعض المؤسسات الطباعية التي أدت دوراً هاماً
في هذا المجال، وارتباط اسم بعض منها بالأمّهات من هذا التراث،
يحتّم على الباحث الموضوعي أن يذكرها فيشكرها.

ومن أوائل هذه المؤسسات مطبعة (بولاق) التي عرفت بأنها من
أوائل المطابع عناية بنشر أمّهات التراث أمثال: صحيح البخاري،
وخزانة الأدب للبغدادي، والأغاني لأبي الفرج الإصفيهاني، ولسان

العرب لابن منظور، وصحاح الجوهري، والقاموس المحيط للفيروزبادي، وكتاب سيويه، والمخصص لابن سيده، وشرح الحماسة للتبريزي، وغيرها مما لا يزال في مكتباتنا الخاصة والعامة حتى اليوم بطبعاته المبكرة تلك.

ونذكر أيضا جهود دار الكتب المصرية التي تعد معلما من معالم التراث الفكري الإسلامي حفظا، وتحقيقاً، ونشراً. وقد ارتبط اسمها بما كان يحققه ويطبعه القسم الأدبي بها، ذاك الذي كان ناديا ثقافيا عظيما يجتمع فيه العلماء والفقهاء والأدباء، وقد عرف المثقفون في أنحاء البلاد الإسلامية أسامي كتب خالدة ذات مجلدات ضخمة مثل صبح الأعشى، ونهاية الأرب، والأغاني، والنجوم الزاهرة، وتفسير القرطبي وغيرها تذكرنا مكتبة مصطفى الحلبي، ودار إحياء الكتب العربية، وجمعية المعارف ومكتبة الخانجي، والمكتبة السلفية (١).

هذه المكتبة التي قدمت للإسلام يدا طولى بفضل صاحبها الداعية الكبير محب الدين الخطيب، الذي يعد بحق واضع البذرة الأولى للصحوة الإسلامية، بمجلتيه الفتح والزهراء اللتين بفضلهما

(١) المصدر السابق، ص، ٢٨.

فتحت عيون المثقفين المسلمين الى ما يحكيه الغرب من دسائس، الهدف منها الإستيطان العسكري عن طريق السياسة، والغزو الثقافي والروحي عن طريق التنصير. ويعود الفضل لهذه الدار التي يعد صاحبها من أخلص أصدقاء أبي اسحاق ابراهيم أطفيش في نشر تراث أهل الدعوة مثل شرح النيل وشفاء العليل، والذهب الخالص، وجوهر النظام. ويعد محب الدين الخطيب أول من انتهج طريق الدعوة الى الله عن طريق الصحف والمجلات يفيد بها العالم الإسلامي كله مشرقا ومغربا، ويكون الصداقات مع علماء الإسلام هنا وهناك. ولم تكن الحدود الجغرافية التي اصطنعها الاستعمار الغربي لتحول دون وصول هذه المجلات إلى أبعد المناطق وأكثرها تعرضا للاستعمار الصليبي مثل الجزائر وتونس والمغرب الأقصى. وهو لهذا يعد بحق كما يقول عنه علي الطنطاوي.

«هو أبو الحركة الإسلامية الجديدة في مصر، كان قلمه أول قلم دعا إليها، وكانت مطبعته السلفية أول مطبعة وقفت عليها، وكانت مجلته «الفتح» أول مجلة إسلامية في مصر، كما فعل شكيب أرسلان الذي كان كاتب الإسلام الأول (١)».

(١) علي الطنطاوي، طرق الدعوة الى السلام، دار المنارة، جدة، ١٩٩٠، ص ١٠.

ولن ننسى جهود لجنة التأليف والترجمة والنشر وما أخرجته من كنوز، ولا سيما في مجال الكتاب المدرسي، وتقريب التراث من الناشئة. وهي جهود تذكرنا بالجهود الضخمة التي قدمتها وما تزال تقدمها دار المعارف.

وقد تضافرت هذه الجهود بجهود المجامع العلمية العربية في كل من القاهرة، ودمشق، وبغداد، لأنها كانت نوادي رفيعة للثقافة الأصيلة، تجمع بين أحضانها خيرة العلماء والأدباء واللغويين. فكانت مجلاتها المتخصصة خير زاد للمثقف المسلم في هذا المجال.

وقد برز أعلام علماء في مجال تحقيق التراث فلا يكاد يخلو قطر عربي أو إسلامي من متخصص أو متخصصين في تحقيق التراث الإسلامي ونشره والعناية به، وتجيء مصر، وسوريا، والعراق، في الصف الأمامي في هذا التخصص كما ونوعا.

ومن الموضوعية العلمية أن نذكر جهود المستشرقين الذين كان لبعضهم فضل الريادة في تقديم النموذج الأمثل للتحقيق العصري. ونحن حين نذكر جهود المستشرقين في إحياء التراث العربي والإسلامي هنا فإننا ننوه بها لأنها تعد من العوامل الفعالة التي دفعت

المثقفين العرب ليتجهوا إلى هذا السبيل. وكثير منهم تعلم أصول التحقيق وقواعده على هؤلاء المستشرقين، وهذا التنويه لا يبعدنا عن الاعتقاد بأن الأغلبية الساحقة من هؤلاء كانوا ينشرون هذا التراث لأسباب سياسية أو دينية. ومهما يكن من أمر فإن الفضل يعود إليهم في تقديم النموذج العملي للمحققين العرب الذين جاؤوا من بعدهم وليس أدل على ذلك من اعتراف أحد المحققين الأعلام اليوم حيث يقول: -

«وقد ألفينا هؤلاء المستشرقين ينشرون عيوننا ثمينة من عيون التراث العربي قبل أن تظهر هنا في الشرق العربي بعشرات السنين، في أمانة علمية دقيقة اقتبسوها من أسلافنا، مقرونة بعناية خاصة بالفهارس الفنية، وهذا كان شأن جمهور أسلافنا أيضا، فكتب الرجال عندنا تنال ترتيبا فهرسيا ممتازا مقرونا بالإحالات الذكية، كما أن مقابلة المخطوطات ومقارنتها ميزة عربية سباقة، عرفها أبائنا الأولون(١)».

وإذا كان لنا من تعليق على هذا النص فهو ما يعبر عنه من فضيلة الإعراف التي هي في حد ذاتها شهادة من هذا المحقق الرائد

(١) هارون، قطوف.. ص، ٦٨.

أهمية التراث عند القدامى

الواقع إن الاهتمام بالتراث وجمعه وتدوينه يعود الى القرن الثاني الهجري، يتمثل ذلك في هذه العناية الفائقة التي أولاها الأوائل للحفاظ على القرآن الكريم وما يخدمه من علوم أخرى، مما يجعلنا نقول: إن أول حركة علمية في هذا الصدد تمثلت في جمع كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، علماً بأن الله قد أحاط كتابه بعنايته حيث يقول ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وأسوة بجمع القرآن كما وقع في عهد سيدنا عثمان بن عفان، تتابعت محاولات الجمع هذه في بقية العلوم الأخرى كالحدِيث، والشعر، واللغة، وغيرها. وعندما توسعت هذه الحركة حاول المؤلفون أن يؤرخوا لهذه الحركة، فصنفوا كتب الطبقات المتنوعة المشارب، المختلفة المقاصد، فأرخوا للعلماء والأدباء والشعراء، والفقهاء، ورواة الحديث، كل يتبع في ذلك المنهاج الذي يراه صالحاً، مناهج زمنية، أو مكانية، أو موضوعية. وبذل في هذا السبيل جهد كبير، وفتح على الباحثين والدارسين آفاقاً واسعة من المعرفة.

ولعل أقدم كتاب وصل إلينا من كتب الطبقات هو كتاب أهل

عبد السلام هارون.. وفضيلة التفتح على كنوز المعرفة الانسانية من هؤلاء المستشرقين الذين استفادوا من التراث العربي الإسلامي مما ينبغي أن يتحلى به المتعلمون والمحققون منهم بخاصة.

ويكفي أن نعلم نحن أن التفتح على المعرفة الانسانية هو الطريق الصحيح للوصول الى تحقيق غايات بعيدة في الكشف العلمية، والإطلاع على المعارف الانسانية أما التقوقع على الذات، والجمود على الطرق والأساليب القديمة، فإنه يشل الفكر، ويبلد الذهن، ويلغي الشخصية.

يقول المحقق الكبير عبد السلام هارون، مشيداً بجهود مطبعة بولاق.

ولست أدري ماذا يكون الوضع لو لم تبكر هذه المطبعة بنشر تلك الكتب وإذاعتها، إذن لتغير وجه الثقافة العربية المعاصرة التي لا تزال مهتزة إزاء لطحات الاستعمار المتوالية، وإزاء الدس الثقافي الذي لا يزال طائفة من أبناء أمتنا العربية في دوار من بريقه الكاذب (١).

(١) المصدر السابق، ص ٣٨.

العلم والجهل . لواصل بن عطاء سنة (١٣١ هـ) وواصل بن عطاء هو مؤسس طائفة المعتزلة كما هو معروف .

كما صنف المؤلفون كتباً أخرى في تصنيف العلوم وفهرسة كتبها، ولعل أقدم محاولة لهذا النوع من التأليف تلك التي قام بها الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠ هـ) في كتابه «كتاب في أقسام العلم الإنسي»، وكتاب، «في ماهية العلم واصنافه»، كما ألف أبو زيد سهل البلخي (ت ٣٢٢) كتاباً بعنوان «كتاب في أقسام العلوم» غير أن هذه الجهود المبكرة لم تصل إلينا للأسف الشديد، وإنما ذكرها المؤرخون في تصانيفهم وفهارسهم . وهناك كتب عربية أخرى قد يهم القارئ الكريم معرفتها تعرفها الساحة الثقافية اليوم وهي :

إحصاء العلوم للفارابي المتوفى ٣٩٧ هـ

مفاتيح العلوم للخوارزمي المتوفى ٣٨٦ هـ

رسائل إخوان الصفاء حوالي منتصف القرن الرابع الهجري .

الفهرست لابن النديم ألفه حوالي سنة ٣٧٧ هـ

رسالة في مراتب العلوم لابن حزم الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ

فهرست ابن خير الأشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ

وظهرت بعد الفهرست الذي حاز شهرة واسعة مؤلفات كثيرة تنهج منهاجه وتسير على طريقته . وقد ظهرت على فترات زمنية متباعدة، وكان هذا التباعد من حسن حظ الثقافة العربية إذ كان ذلك يسمح لكل كاتب لاحق أن يؤرخ لما سبقه من تراث فكري، فيحفظ من الضياع والتلاشي، ويبقى العنوان حتى وإن ضاع الأثر نفسه، حتى إن المرء ليلحظ أنه لم تخل فترة زمنية من موسوعة علمية اشتهرت وذاعت بين الناس ولعل من المفيد أن نذكر أسماء بعض الكتب المتخصصة في هذا الفن مما يحرص الدارسون على اقتنائها والرجوع اليه من حين إلى آخر في أبحاثهم ودراساتهم .

من ذلك : - معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة

٦٢٩ هـ

- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري المتوفى سنة ٧٣٣ هـ

- حياة الحيوان الكبرى للدميري .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥. وعندما انتقلت أغلب الذخائر العربية الى الأستانة في العصر التركي وازدانت بها مكتباتها، كان ذلك حافزاً على وضع فهرس يضم هذا التراث القيم فظهر كتاب ما يزال مشهوراً في عالم الفهارس اليوم وهو كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ.

إن هذا التراث القيم في شتى فنون المعارف الإنسانية ضاع منه الكثير قياساً لما جاء في كتب الفهارس، فقد تشتت شمله، وتفرق جمعه، وتلف بعضه على يد الحملات العدوانية التي تعرضت لها البلاد الإسلامية عبر تاريخها. وكانت بعض الحملات تستهدف هذا التراث لذاته، وتتخذ من القضاء عليه إحراقاً وإتلافاً هدفاً من أهداف عدوانها على البلاد الإسلامية. فإن الحملات الصليبية التي أغارت على العالم الاسلامي فعلت مثل ذلك وأكثر، ولا أحسب ان مثقفا مسلما يجهل أو ينسى ما فعلته حملة (هولاكو) على بغداد بهذا التراث الإسلامي، حتى أن المؤرخين حينما يعبرون عن فظاعته

يذكرون تغير أمواج دجلة والفرات لكثرة ما امتزج بها من مداد ذلك التراث القيم.

ونستطيع أن نقول القول نفسه عن الحملات الصليبية التي تعرضت لها البلاد الإسلامية أكانت تلك الحملات في شكلها القديم أم في شكلها الحديث، وليس أدل على ذلك من هذه الكنوز العظيمة التي انتقلت الى خزائن الدول الأوروبية حتى بات المثقف العربي المسلم يبحث عن تراثه في تلك الخزائن، ويتحمل الباحث العناء المادي والأدبي بحثاً عن مخطوط أو وثيقة تاريخية.

لقد حاولت دولة الخلافة أن تجمع بعضاً من هذا التراث الضخم في مكتباتها مما سمح بتأليف بعض الموسوعات العلمية التي أشرنا إلى بعضها، ولكن ضعف هذه الدولة ووقوعها فريسة بيد أعدائها، أدى إلى انتقال أغلب هذا التراث الى أوروبا التي اغتنمت فرصة تشتت العالم العربي وسباته عن تراثه، فراحت تجمع منه من كل أنحاء العالم العربي.

وقد استغل أعداء الإسلام هذا التراث استغلالاً علمياً ملحوظاً وكان ذلك دافعا لنهضة استشراقية في كل أنحاء أوروبا، ومهما كان

دافع البعض إلى الاهتمام بهذا التراث علمياً، فإن الأغلبية الساحقة كان من ورائها أغراض استعمارية صليبية حاقدة. وآية ذلك أننا نجد أن الذين كانوا يشدون أزر هذه الحركة هم في الأغلب الأعم من العسكريين ومن رجال التنصير حتى لا أقول المبشرين.

وليس أدل على ما بذل من جهود عظيمة بصرف النظر عن نوايا أصحابها ما تكتظ به أجنحة المخطوطات في أوروبا، حتى إنه لا تكاد تخلو مكتبة عامة في العواصم العالمية الكبرى من كنوز المعرفة الإسلامية وإن بعضها ليتجاوز الألف والألفي مجلد.

لقد شعر المستشرقون بأهمية هذا التراث فالتفتوا إليه بجمعه وإحيائه وتقديمه إلينا محققاً مدروساً، سهل التناول، فكانت خطوتهم الأولى في هذا الصدد هو حصر هذا التراث بوضع فهراس وموسوعات له منظمة تنظيمياً علمياً قيمياً، ويذكر المؤرخون أحد الرواد في هذا الاختصاص وهو جوزيف فون هامر برجشتال في كتابه الذي جمع فيه التراث العربي من أوله إلى آخر القرن الثاني عشر الهجري، ولكن نظراً لقلّة معرفة هذا المؤلف بالعربية فإن هذا الكتاب ينبغي أن يستخدم بحذر.

ولعل من أشهر الكتب التي انتهجت هذا النهج كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، وهو مرجع هام لا يستغني عنه الباحثون على ما فيه من أخطاء ودس، دفعت أحد الباحثين الإسلاميين المعاصرين ليؤلف عنه مؤلفاً تحت عنوان كارل بروكلمان في الميزان يبين فيه الأبعاد والأهداف لهذا المؤلف من خلال بعض الأمثلة المستخلصة من هذا الكتاب.

لقد حدا هذا التوجه من المستشرقين ببعض المؤلفين المسلمين إلى اقتحام هذا الميدان والاهتمام به والتأليف فيه فظهرت فهراس علمية تحاول حصر هذا التراث، نذكر من بينها، معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس.

ولعل من أشهرها في عصرنا الحاضر تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، ونحسبه أهم كتاب في هذا الموضوع ظهر حتى يوم الناس هذا، فهو مؤلف ذي مجلدات كبيرة تشتمل على تراث ضخمة غزيرة، وقد بذل المؤلف في جمع مادته حتى الآن ما يزيد على أربعين سنة من العمل المتواصل، لذا يعد عمله مواكبة جادة للتراث الإسلامي في كل مناحيه. ولعله بمنهجية وتطبيقه العلمي الدقيق يعد حسب ما نعلم آخر مرحلة يتوصل إليها في تصنيف العلوم العربية وطبعات

مؤلفيها، وهو يضم بين دفتيه أشتات هذا التراث المخطوط في كل مكتبات العالم التي اطلع المؤلف على فهارسها وقوائم كتبها، وقد بذل في سبيل ذلك جهداً ضخماً ومالاً كثيراً.

وتمتاز هذه الموسوعة عن كتاب بروكلمان الأنف الذكر بأن المؤلف راجع مواده وأصلح ما فيها من أخطاء النساخ، وأضاف إليها معلومات جديدة مكملية، مثل تاريخ المخطوطة، وعدد أوراقها، وعدد أجزاءها، كما يعرف بمحتوياتها أحيانا اذا كان اسمها غامضاً، وهو - إضافة الى تلك الامتيازات المذكورة آنفا - يشتمل على المخطوطات التي ذكرها بروكلمان فيذكرها أولاً ثم يشير اليها بعلامة خاصة ويتبعها بالمخطوطات الجديدة التي جمعها من الفهارس والقوائم التي ظهرت بعد بروكلمان.

رغم هذا الجهد المبذول فإن هذا لا يصل بنا الى حد القول بأنه عمل يشتمل على كل التراث الاسلامي بطبيعة الحال، لأن هذا منال يصعب تحقيقه، ويبقى طابع الشمولية نسبياً على كل حال، فهناك خزائن هامة في أنحاء الوطن العربي لم تصل اليها عناية الباحثين حتى يضعوها لها الفهارس العلمية ففي الجزائر والمغرب مثلاً، خزائن ما تزال في حاجة إلى فهرسة وهي لعمرى تحتوي على مخطوطات قيمة،

وبدون الفهرسة لا يمكن للمثقف العربي أن يلم بمحتوياتها أو أن يصل إلى مصادرها.

ومن هنا فإن العناية ينبغي أن تكون كبيرة تتضافر عليها جهود الباحثين والدارسين من كافة أنحاء العالم الاسلامي، وهذه خطوة أساسية لا بد منها، وقاعدة انطلاق لا بد من بنائها، ولو كلف ذلك جهداً ووقتاً ومالاً.

التراث الإسلامي والإستعمار الغربي

إن الغرب الصليبي كان وما يزال يتعامل مع تراثنا بحسه الإستعماري المبني على المصلحة الآنية والمنفعة المادية، فهو يشجع المستشرقين من أبنائه وغيرهم بكل المساعدات الممكنة، ويوفر لهم مجالات العمل من جهة. ولكنه من جهة أخرى يهرب هذه الكنوز والآثار إلى مكباته، وهو اعتراف ضمني لا يمكن أن يتجاهله بقيمة هذا التراث الفكري العظيم الذي أنار له درب المدنية والحضارة. ونحن لا نقول هذا اتهاماً أو إجحافاً، بل إن الواقع التاريخي في صراعنا الطويل معه ليؤكد هذا ويدعمه. ولناخذ مثلاً من سلوكه مع التراث الإسلامي في المغرب الكبير ففي الجزائر مثلاً ظل يعامل التراث الفكري الإسلامي معاملة العداء والاستكبار، يبدد المخطوطات أو يحرقها إغاضة وانتقاماً. ففي معارك الأمير عبدالقادر الجزائري الذي كان يعتبر التراث الإسلامي سلاحاً من الأسلحة مع الكفار، يعترف الفرنسيون أنهم كانوا أثناء مطارداتهم للأمير يستدلون على مكانه مما كان يتناثر أثناء المعارك من أوراق المخطوطات.

وعندما رأى المستعمرون من أبناء (الكولون) بأن استقلال الجزائر بات وشيكاً لجأوا في وسائلهم الانتقامية إلى حرق جانب كبير

من مكتبة جامعة الجزائر، وأتى على جانب هام من الكتب القيمة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنهم هربوا إلى مكباتهم الخاصة والعامّة مخطوطات نفيسة لا تقدر بثمن، ولا أدل على ذلك من أن جانباً منها يوجد حتى الآن بالمكتبة الوطنية بباريس، وإن الدوريات الجزائرية التي كانت تصدر في فترة الاحتلال هربت كلها إلى مكتبة (فرساي) قرب باريس وما تزال تحمل طابع ولاية الجزائر، وطابع ولاية قسنطينة شاهدة على الذين اختلسوها باللصوصية وخراب الذمة.

كما نجد العديد من تراث أهل الدعوة في مكبات ألمانيا وبولونيا هرب من وادي ميزاب في حين غفلة من أهله. وإن فيها بعض المخطوطات النادرة التي لا وجود لها حتى بمكبات وادي ميزاب نفسه. ولولا ضيق المجال لسقنا شواهد كثيرة عن وقائع مماثلة من العالم العربي والإسلامي.

إن الاحتلال الفرنسي للمغرب الكبير آخر عملية نشر التراث بأقطاره سنين طويلة، ولعل نهضته الحقيقية لم تبدأ إلا في العقدين الأخيرين مع النهضة الثقافية، وانتشار الوعي الإسلامي بها، على أن هذه النهضة ظلت متفاوتة بين تلك الأقطار تتراوح نشاطاً واهتماماً،

فهي في تونس أقوى منها في المغرب الأقصى، وهي في المغرب الأقصى أقوى منها في الجزائر.

إن ما تزرخ به خزائن المكتبات هناك من تراث نفيس لتهيب بحكومات هذه الأقطار بأن تبذل جهوداً أكبر، وتوجه عناية أفضل لإخراج تلك الكنوز إلى النور لأنها من حق المسلمين جميعاً وليست من حق مؤسسة أو حاكم معين حتى ولو كانت تلك الخزائن باسمه. لأن موقف الاسلام واضح من أولئك الذين يكتمون العلم أو يمنعونه عن الناس.

التراث الاسلامي المخطوط في الجزائر

اعتنت المكتبة الجزائرية منذ أقدم العصور بالمخطوطات العربية، فجزء منها حفظته فهارس المكتبات العامة. وجزء آخر حفظته لنا المكتبات الخاصة التي قام على جمع مخطوطاتها العلماء والمهتمون بهذا الجانب الذي كانوا ينظرون إليه على أنه جزء لا يتجزأ من شخصيتهم التي ما فتىء الاستعمار يعمل على طمسها، ومن هنا كان الإهتمام دافعه علمياً أحياناً ودافعه حضارياً أحياناً أخرى. ومن أشهر المكتبات الخاصة مكتبة الشيخ ابن الفكون في قسنطينة، ومكتبة زاوية الهامل قرب بوسعادة ومكتبة زاوية طولقة، وزاوية مستغانم، وزاوية مليانة وزاوية أدرار، ومساجد وادي ميزاب نذكر من بينها مكتبة الشيخ أطفيش، ببني بزقن. ومكتبة الشيخ بلحاج، بالقرارة. ومكتبة باعمارة، بمليكة.

وكانت في تلمسان عدة مكتبات عائلية كمكتبة الشيخ أبي طالب والقاضي شعيب. وقد حافظت العائلات الجزائرية التي عرف أسلافها بالعلم على ما خلفه الأوائل من تراث عبر القرون.

ومن المكتبات الخاصة المشهورة في القطر الجزائري مكتبة الأمير

عبدالقادر الجزائري، وكانت تحتوي على كثير من ذخائر المخطوطات العربية، وقد لازمته مكتبة الكبيرة في تنقلاته إبان مقاومته للاستعمار الفرنسي، ومن المؤسف أن جل مخطوطات هذه المكتبة ضاعت أثناء هذه المقاومة. وقد تأثر الأمير لذلك ولم يتسل عن فقدائها زمنا طويلا. وقد روى شاهد من عساكر الفرنسيين أنه كان من الممكن اقتفاء آثار جيش الأمير العائد من منزل الزمالة لأن أوراق كتبه كانت منتشرة في كل أرض مرت بها العساكر.

وعرفت مكتبة الشيخ الحداد نفس المصير فقد استولى عليها الفرنسيون بعد ثورة ١٨٧١، وقد صودرت بعض كتب هذه الخزانة وضم بعضها الآخر الى قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

وتضم المكتبات العالمية مخطوطات ووثائق ألفها علماء جزائريون كتلك الموجودة في مكتبات استنبول. وقد نقلت هذه المجموعات إبان الحكم العثماني. ومن الدول الغربية نذكر مكتبات إيطاليا، وأسبانيا، وهولندا، وبولونيا، كما نقل كثير من الجزائريين مخطوطاتهم معهم أثناء هجرتهم الى كل من المغرب وتونس وخاصة بعد الاحتلال الفرنسي. وهو ما يفسر وجود مخطوطة من عائلة المشرقي العسكرية بمكتبات المغرب على أن الكثرة الغالبة من المخطوطات الجزائرية إنما

نقلت الى فرنسا عنوة بعد مصادرتها ابتداء من سنة ١٨٣٠ والذي يرجع الى بعض الفهارس التي قام بها فرنسيون للمكتبة الوطنية يجد أرقاما وأسماء لمخطوطات ضاعت من المكتبة فقد ذكر من بين الوثائق الضائعة نحو ٢٠٠ مجلد من بينها سجلات الدايات والمئات من العقود والرسائل والوثائق الإدارية، وكما حدث الإعتداء على المكتبة الوطنية حدث أيضا على مكتبة الجامعة الجزائرية. سنة ١٩٦٢. قبيل الاستقلال.

وذكر بعض الدارسين والعاملين في هذا الميدان أن أغلب المخطوطات لم تحرق كما حدث هذا لمكتبة الجامعة وإنما هربت بعد الإستقلال، وما يزال الكثير منها يحمل ختم المكتبة.

وقد اتخذ هذا السطو أحيانا صبغة رسمية كما وقع لكتاب العبر لابن خلدون الذي يقال إنه نقل من المكتبة الجزائرية إلى المكتبة الأهلية ببافيس بأمر من نابليون الثالث.

وقد وضع الفرنسيون إداريون وباحثون فهارس لهذه الكنوز ولعل من أهمها فهرس منشور سنة ١٨٩٣ يمكن الرجوع إليه مع غيره من الفهارس في المكتبة الوطنية الجزائرية.

التراث الفكري الإباضي

في خضم هذا الواقع المتذبذب بين العناية وعدم الاهتمام، نتساءل عن واقع تراثنا الفكري الإباضي وعن مكانته، مقيمين خطواته، وأود أن أوضح للقارئ، الكريم - بأن إلحاحي على هذا الجانب الخاص من تراثنا الإسلامي لم يأت وليد نزعة تعصبية، أو نظرة مذهبية، لأن الذي دفعتني إلى ذلك سبيان أحسب القارئ الكريم سيوافقني عليهما.

أولاً: ■ إن ما تركه هذا الفكر من تراث يتميز عن غيره ببعض

الخصوصيات: منها ما يتحلّى به من ترابط وثيق بين جوانبه فين علومه ذات الطابع الديني وعلومه ذات الطابع الاجتماعي يلحظ الدارس انسجاماً وتوافقاً، فالذي يعود إلى المؤلفات الإباضية الباحثة في قوانين الري، ونظم البناء مثلاً، يلحظ بوضوح كيف أن النظريات والخبرات مبنية أساساً على الإعتبارات الدينية أولاً وقبل كل شيء.

والمتتبع لتقاليد الأفراح والمناسبات والأعياد في المجتمعات الإباضية يتبين له أن العلاقات الاجتماعية فيها مؤسسة على روح

الشريعة الإسلامية، وهذه الخصيصة تتجسد بصفة خاصة في الأماكن التي استطاعت الجماعات الإباضية أن تكون بها كياناتاً مستقلة خصوصاً بها، وبعبارة أدق تلك المواطن التي استطاعت أن تغالب مظاهر الذوبان والانحلال. ولعل هذه الملاحظة لو حاولنا أن نجد لها مثيلاً الآن لوجدناها بارزة في سلطنة عمان، ووادي ميزاب من جنوب الجزائر، أكثر من بروزها في الأماكن الأخرى التي ما زالت بها جماعات إباضية، مثل جربة بتونس، وجبل نفوسة بليبيا، وزنجبار بتانزانيا.

هذه المميزات الحضارية أخذت تستقطب العديد من الأقلام تفرد لها المؤلفات من الكتب، أو التحقيقات من الدوريات، أو الدراسات من الجامعات، ومن المؤسف حقاً أن تكون العناية بهذا التراث من الأجانب أكثر منها من العرب.

ففي المكتبات العالمية اليوم العديد من هذه الدراسات التي قام بها الأوروبيون ولا سيما المستشرقون منهم فرنسيون، وإنجليز، وبولونيون، وألمان، وإيطاليون، على اختلاف في الأسباب والدوافع بطبيعة الحال.

يكفي أن نذكر كمثال على هذه العناية الفائقة، البحوث العلمية العميقة التي يقوم بها الباحث البولوني تاديوش لفتسكي الذي يكاد يكون - لبحوثه الكثيرة - باحثاً متخصصاً في المذهب الإباضي والجماعات الإباضية عبر العالم، فقد تجاوزت بحوثه العلمية خمسين بحثاً.

ولعل الإعجاب بهذا التراث المنسجم، الدال على ذوق حضاري راق هو الذي عبر عنه أحد الكتاب الفرنسيين المشهورين وهو (جان مليا) حيث تحدث عن انطباعه عن حضارة الإباضية بوادي ميزاب فكراً ومعماراً قائلاً «إنه النظام الحضاري الذي لا يوجد له مثيل في العالم» (١).

ثانياً: مما يستدعي الإهتمام العاجل بهذا التراث تحقيقاً، وطبعاً، وجمعاً، ودراسة، ما تعرض له هذا التراث عبر مراحل التاريخ من إجحاف وغمط، وتنقيص وتشويه.

ويتجسد هذا المنحى بصفة أخص في الكتب التراثية ذات الطابع التاريخي سواء كانت في علم الكلام والفرق، أم في الشعر والأدب.

(١) ينظر: Jean Melia Ghardaia

وإنه من المؤسف حقاً أن تتورط في هذا بعض الدراسات المحدودة اليوم من المصادر الموثوق بمعلوماتها، نذكر منها على سبيل المثال: الفرق بين الفرق للبغدادلي، والملل والنحل للشهرستاني، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، وغيرها مما هو معروف متداول.

وقد نلتمس بعض العذر لأولئك المؤرخين الذين كانوا يكتبون مؤلفاتهم تحت ضغط التبعية الفكرية لهذا الحاكم أو ذاك، أو تحت لهفة الحصول على عطاء مادي من هذا الشخص أو ذاك. ولكن ما الذي نلتمسه عذراً عندما تصدر هذه الأحكام عن بعض الفقهاء المتصدرين للفتوى، المتحملين مسؤولية الدعوة الإسلامية.

إن هذه الكتابات تتحمل وزر ما يتعرض له الفكر الإباضي اليوم من فسخ ومسح، وما يقابل به من إهمال وجحود، وما يلاحق به من بعض الجهات من مطاردة ومصادرة. وإذا كان لنا أن نتسامح مع بعض تلك المواقف المعروفة، في الكتب التراثية القديمة، كما ذكرنا، فإن من الموضوعية أن لا نغض الطرف عن أمثال هذه المواقف حين تصدر عن كتاب محدثين ينتسبون إلى مؤسسات علمية محترمة، أو هم ينالون بها شهادات جامعية. والعجيب في الأمر أن بعض هؤلاء لا يكلفون أنفسهم عناء الرجوع إلى المصادر الإباضية

فيحكمون على الفكر الإباضي من خلال فكر غير إباضي، ويحملونهم أخطاءً هم بريئون منها، لا شيء إلا لأنهم يعتمدون أقوال أولئك القدامى الذين أشرنا اليهم، وكأن أقوالهم شهادات قاطعة، أو أن معلوماتهم وثائق مؤكدة، والمفروض في الدراسات الأكاديمية أن تستحضر كل الجوانب التاريخية التي أحاطت بالفكر الإسلامي من ظروف سياسية وفوارق اجتماعية، ومهارات كلامية، أغلبها دافعه النزاعات العاطفية، والتعصبات القبلية. والإحن المذهبية.

على أننا والحمد لله الذي أنعم علينا، بأنوار المعرفة والصحة الإسلامية، بدأنا نقرأ من حين إلى آخر، ما يثلج الصدر من بعض الباحثين الأكاديميين الذين صفى العلم أذهانهم، فلم يرتضوا عن الحقيقة بديلاً، وسمت الأخلاق الإسلامية بمواقفهم فلم يخضعوا - كما خضع القدماء - لنزعة سلطوية أو عرقية أو طائفية أو مذهبية.

ولا بأس أن نستشهد هنا بقول أحد الأساتذة الذين توصلوا إلى هذه الحقيقة من تلقاء أنفسهم، ولم يتأثروا كما تأثر غيرهم بأقوال السابقين، ومن هؤلاء نذكر الدكتور العراقي فاروق عمر وهو يتحدث عن هذه الظاهرة التي تعد ثغرة في الكتابات التاريخية. ويعدد هذه الفرضيات الخاطئة ولو أخطأ في إقحام الإباضية مع

الخوارج وذلك حيث يقول (١) «يمكننا القول بأنه لا يزال تاريخ الخوارج غير متكامل الصورة سواء من الناحية السياسية أو العقائدية، ورغم أن البحوث الحديثة قد أضافت إلى معلوماتنا الكثير عن الحركة الخارجية، فإن وجهة نظر الخوارج لا تزال غامضة، بدأت تنكشف شيئاً فشيئاً بالعثور على مخطوطات جديدة أزال الغموض، وقومت العديد من الفرضيات الخاطئة الشائعة عن الخوارج ومنها: -

الفرضية التي تبرز الطبيعة البدوية فقط للخوارج وتؤكد على تخلفهم السياسي، وعدم قدرتهم على إنشاء كيانات سياسية، والواقع فإن الخوارج أنشأوا العديد من الكيانات السياسية في عمان والمغرب. والفرضية الثانية، التي تدعي انعدام الفكر الفلسفي للخوارج «وأنهم أبعد ما يكونون عن التطور الديني والعلمي والاجتماعي» والواقع فإن كتب الفقه والفرق والتاريخ الخارجية حوت فكراً فلسفياً متطوراً، ولكن هذه الكتب لا تزال مخطوطة ومبعثرة في مكتبات مختلفة.

والفرضية الثالثة: التي تدعي اندثار الحركة الخارجية كحركة

(١) د. فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت ط ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥.

واقع التراث الإباضي

عرف الفكر الإباضي بأئمته وعلمائه الذين حاولوا أن يبنوا قواعد دولته وعلمائه، وجاهدوا في إرساء أصوله الفكرية، فألفوا في مسائله الفقهية والكلامية، وكتبوا في مسيرته الحضارية والتاريخية، ولكنهم كشأن أية حركة دينية ذات طابع سياسي واجهوا المطاردة والملاحقة من خصومهم منذ ظهور هذا الفكر على الساحة السياسية. وكان هذا الواقع المؤسف من أقوى الأسباب التي جعلت أصحاب هذا الفكر مضطرين إلى إخفاء مؤلفاتهم خشية أن يطلع عليها خصومهم فيصادرونها، بل فعلوا ذلك في بعض المراحل من تاريخهم مخافة أن يتعرضوا هم أنفسهم للتعذيب والاضطهاد، على أنه لو قام باحث بإحصاء جميع الكتب التي ألفها أصحاب هذا الفكر ونسبتها المثوية إلى عددهم، ثم فعل مثل ذلك في بقية المذاهب، ثم قارن بين نسب الجميع، لوجد نسبتهم من أعلى النسب إن لم تكن أعلاها، على الرغم من أن الكثير منها ضاع للملاحقة السياسية التي لم تتوقف في أي زمان عن مطاردتهم ومضايقتهم بشتى الأساليب والصور، حتى بلغت في مداها أحيانا حرق الكتب والمكتبات، وفي أحيان كثيرة تكون أصابع الفقهاء المتعصبين وراء أجهزة السلطة... وإلى الآن لا

سياسية في نهاية العصر الأموي، والواقع يؤكد عكس ذلك، فقد شهد العصران العباسيان الأول والثاني حركات سياسية خارجية مهمة.

والفرضية الرابعة، التي تدعي بأن الحركة الخارجية ككل لم تترك لنا تراثاً مهماً يتعلق بها، والواقع فإن الباحثين كشفوا في الآونة الأخيرة العديد من مصادر التراث الخارجي في مكتبات متفرقة من العالم، وكذلك في عمان ونجد والمغرب (١).

ولعل من أبرز المؤلفات الصادرة حديثاً وهي تحمل طرحةً جديداً، وفكراً جريئاً تلك الدراسة القيمة التي قام بها أحمد سليمان معروف في كتابه الموسوم «قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم».

وكان دافعه إلى ذلك ما يشعر به من «أن التاريخ القديم رسم ملامح الخوارج ومنحهم بطاقتهم الشخصية والصق في أعلى تلك البطاقة صورة غير صورتهم وفكرهم بوجوه مستعارة، فتعرضوا بذلك لحملة تشويه وتزوير بلغت حد الإعتداء على شخصيتهم وتاريخهم (٢).

(١) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٢) أحمد سليمان معروف، قراءة جديدة في مواقف الخوارج.. طلاس، دمشق، ط ١، ١٩٨٨، ص ١٤.

تزال أكثر كتب هذا الفكر وأهمها مجهولة حتى عند أصحابها أنفسهم (١).

وبسبب هذا الموقف المتعسف وبسبب الخوف على تلك المعارف أن تضيع، لجأ العلماء الأوائل إلى إيصال معارفهم تلك، عن طريق المشافهة والتلقين بعيدا عن أعين الناس، كما فعل أحد رواد هذا الفكر وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة

وكان هذا الواقع المؤلم مصاحبا للمذهب، وتراثه في كل من المشرق والمغرب، منذ نشأته في منتصف القرن الثاني الهجري إلى حين قيام أول دولة قوية لهم وهي الدولة الرستمية. أو بعبارة أدق نستخدم فيها مصطلحا طالما استخدمه أصحاب هذا الفكر، من مرحلة الكتان إلى مرحلة الظهور. ففي ظل الدولة الرستمية التي وفرت الحماية لحرية الفكر والتعبير لمذهبها الذي اعتنقته ولغيرها من المذاهب والطوائف الأخرى، وبفضل العدالة الإسلامية التي انتهجتها الدولة الرستمية كطريقة حكم ازدهر التأليف، وكثرت حلق المذاكرة، وشاعت أسواق الجدال والمناظرة، وأنتجت هذه السياسة الرشيدة مكتبة (المعصومة) التي أشاد بتراثها المؤرخون، ولكنها والأسف ملء

(١) السيد عبدالحافظ عديري، الاباضية مذهب وسلوك ط، القاهرة، ١٩٨٧ ص ٢٨٤.

الجوانح، احترقت أثناء هجوم عبيد الله الشيعي على تاهرت، وكانت شهادة لأئمة الدولة الرستمية بالنزاهة والعدل، بقدر ما ستبقى شهادة على أعدائهم الفاطميين على التعصب المقيت، ومعاداة أنوار العلم والمعرفة.

وشهد الفكر الإباضي مرحلة أخرى من الإضطهاد والظلم، وعاد أصحابه مرة أخرى إلى مرحلة الكتان، متسترين بالشعاب والمسالك الصحراوية، لائذين بعقيدتهم إلى واد غير ذي زرع، وكان ذلك حالهم إلى حين استقرارهم بوادي ميزاب في بداية القرن الخامس الهجري.

وأحب أن أؤكد على أن هذه المرحلة رغم قساوتها السياسية، فإنها لم تعرف نضوبا فكريا، إذ أن المصادر الخاصة بدراسة سير العلماء والمشايخ والأئمة تدل على أن الإباضية كانوا مثل غيرهم من المذاهب الأخرى أصحاب عناية بالتأليف، والتحقيق، والتدوين ولا سيما في الشريعة والتاريخ، فالذي يرجع إلى سير أبي زكرياء، أو طبقات المشايخ للدرجيني، أو سير الشماخي، أو جواهر البرادي، أو ملحق السير لأبي اليقظان (١) يتأكد من هذا التراث المعرفي

(١) تنظر قائمة بالمصادر والمراجع آخر البحث.

واقع التراث الإباضي في العصر الحاضر

أحسب أنه من أسبق علمائنا عناية بنشر هذا التراث وإخراجه للناس، ما قام به الشيخ سليمان الباروني والمطبعة البارونية بمصر، وما طبعه القطب الشيخ أطفيش من نفائس وذخائر. هذه الجهود أخرجت من حيز النسيان تراثاً قيماً ما زال بعضه إلى يومنا هذا في طبعته الحجرية الأولى مثل:

قناطر الخيرات، والنيل وشفاء العليل، وفاء الضمانة، والدليل لأهل العقول، والأزهار الرياضية^(١)، وغيرها. كان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى. وجاء بعد المطبعة البارونية المرحلة القيمة التي قطعها الشيخ أبو إسحاق أطفيش، الذي كان نفيه من قبل الإستعمار الفرنسي إلى القاهرة خيراً وبركة، حيث أخرج هو الآخر ذخائر نفيسة من مؤلفات قطب الأئمة، بطبعة أحسن وإخراج أجود، واليه يعود الفضل في إخراج الأجزاء الأخيرة من شرح النيل، والذهب الخالص، وشامل الأصل والفرع، والوضع وغيرها من المصادر والمراجع الهامة في الفقه والتاريخ. وما نزال حتى اليوم نتدارس بعض هذه الطبعات التي تعود إلى الثلاثينيات والأربعينيات.

(١) ينظر، المصادر والمراجع.

الواسع، فمن خلال عناوين المؤلفات يدرك أن الإباضية ألفتوا في مختلف العلوم الإنسانية، وأنهم كتبوا في شتى ضروب المعرفة، ولعل بعض البيبلوغرافيات الحديثة مثل تلك التي قام بإعدادها لفتسكي، أوشاكت أو غيرهما من الأوروبيين تساعد على تصور نصيب الإباضية ومكانتهم في هذا المجال.

ولكن الذي يؤسف له حقاً هو أن هذا التراث ضاع أكثره إذ جنت عليه الظروف الخارجية، من حروب وملاحقات، وأودى ببعضه الآخر الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي لم تساعد أهل العلم على الاستقرار النفسي لمتابعة المسيرة، بل إنهم زهدوا في نشر هذا التراث وطبعه.

(١) السيد عبدالمطلب عيسى، الإباضية، مطبعة دار الفقه والدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٤.

الفكر الإباضي المعاصر والتراث

وفي أوائل الستينيات برز الى عالم الفكر الاسلامي كاتبان إباضيان، أحدهما هو الشيخ علي يحيى معمر الليبي النفوسي، وثانيهما هو الشيخ محمد علي دبوز الجزائري الميزابي. وإذا اتجه الشيخ محمد علي دبوز الى التاريخ يصحح ما فيه من مواقف ومعلومات خاطئة، في وقفات طويلة عند تاريخ المغرب الكبير قديماً وحديثاً. فإن الشيخ علي يحيى معمر اتجه الى تاريخ الإباضية بصفة عامة فأصدر سلسلته الرائعة القيمة، الإباضية في موكب التاريخ، وهي تشتمل على حلقات، كانت الحلقة الأولى عن النشأة التاريخية للإباضية، فالحلقة الثانية والثالثة عن الإباضية في ليبيا فالرابعة عن الإباضية في تونس، ثم الخامسة عن الإباضية في الجزائر.

ولقد كشف بحسه المرهف، وذكائه الوقاد، وورعه الشديد، وحبهِ العامر لأمتهِ الإسلامية عن كنوز عرفت القاريء المسلم بشخصيات وزعماء وعلماء لم يكن يعرف عنهم شيئاً من قبل.

ولكن الكتاب الذي يصب في قناة التوحيد بين المسلمين وجمع كلمتهم هو كتابه الرائد في منهجه وفحواه «الإباضية بين الفرق

وما من شك في أن التعاون الإسلامي بين أبي إسحاق إبراهيم أطفيش وبين صديقه الداعية الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب - الذي هو صاحب المطبعة السلفية - قد ساعد على إخراج الكثير من هذه الكنوز إخراجاً جيداً، وكان لمجلة المنهاج التي كانت تطبع بهذه المطبعة دور الداعية الذي كان همهم الأول وهاجسه الوحيد، إيقاظ المسلمين الى واقعهم المرير تحت وطأة الاحتلال الغربي، وما يتهددهم من غزو فكري، وما يستخدم من وسائل إعلامية حاقدة على رأسها الإرساليات التنصيرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها كانت - أي المنهاج - تعرف بالفكر الإسلامي وتراثه وحضارته وتصحيح المفاهيم التي علقت بأذهان المسلمين من رواسب عصور التخلف والانحطاط. وبما أن أبا إسحاق إباضي فإنه لم يأل جهداً في التعريف بهذا المذهب وتراثه وحضارته.

الاسلامية» وقد هداه فكره النير، وذهنه الإسلامي الثاقب إلى وضع نظرية يعلي عليها المسلمون المعاصرون بناء وحدتهم، وعبد طريقا يسلكونه الى جمع كلمتهم ولم شملهم، وقد لخص هذه النظرية في المبادئ الثلاثة:

المعرفة، التعارف، الإعتراف.

والشيخ علي يحيى معمر بمؤلفاته القيمة تلك يعد من أهم الدعاة الإسلاميين الداعين الى وحدة المسلمين في هذه العقود الأخيرة.

وأحسب أن أغلب الكتابات التي أخذت تنتشر هنا وهناك عربية أو أجنبية في محاولة منها لإنصاف الإباضية تتخذ كتب الشيخ علي يحيى معمر من مصادرها الأساسية.

أما في المشرق فقد برز سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان فتحمل مسؤولية الدعوة الى التقارب ونبذ الخلاف، وقد وهبه الله صفات أهله لذلك عن جدارة واستحقاق، فهو عالم راسخ القدم في الشريعة الإسلامية، حباه الله ذاكرة فياضة تسعفه بالأدلة من القرآن والسنة، إلى تواضع جم يحببه من النفوس

ويقربه منها، وهو في سبيل هذه الرسالة ما فتىء مشاركا في المؤتمرات الإسلامية يدعو إلى الله على المنابر، وإذا سمع أو رأى باطلا وتهجما انبرى للرد غير هيب ولا وجل.. يجادل بالتي هي أحسن، ويحاور بالعقل والمنطق والأدلة العقلية والنقلية. وعسى أن يجتهد الناشرون في نشر كتاباته القيمة، ومؤلفاته الهامة فإنها من أهم وسائل التقريب بين المذاهب الإسلامية، وقد وضحت آثار جهوده تلك في منطقة الخليج والمشرق العربي مما سيذخره الله له في صالح الأعمال إن شاء الله.

ولئن سبقني الشيخ معمر الى توضيح أمثال هذه الأخطاء التاريخية، ومناقشاتها، وتحليل ما وراءها من دوافع وظروف غير موضوعية، في كتابه القيم (الإباضية بين الفرق الإسلامية). فلا بأس أن أشير هنا الى بعض ما ورد من أمثال هذه الأخطاء التي تكررت في بعض المؤلفات الجامعية وإن بعضها ليندى له الجبين حقا، لأن الطابع العام الذي يخرج به القارئ البسيط لهذه المؤلفات هو الجهل الفاضح الذي يتميز به أصحابها، وإلا فبم نصف الدكتوراة القائلة:

«تلك كانت نبذة سريعة عن أهم فرق الخوارج، وقد انقرضت جميعها الا طائفة من الإباضية تقيم جهة عمان، وفي جزيرة جربة تجاه

تونس وفي جنوبي الجزائر وغرب ليبيا، ثم تقول: والاباضية هي
الفرقة الوحيدة المعتدلة من فرق الشيعة، ولم تنشأ الا حديثاً (١)».

وتتجراً على تحريف الواقع التاريخي بحكم جائر عجيب، حيث
تقول:

أما تعصبهم لنظرية الإمامة، واعتقادهم بأن شروط الإمامة لم
تنطبق على الخلفاء الأمويين ثم العباسيين، وأنهم جائرون ظالمون فهو
الذي دفعهم إلى الخروج عليهم، وهذا لعمرى تعصب بغيض زاده
حده عدم تثبتهم من أمور دينهم، وافتقارهم إلى من يفقههم فيها،
وإلا فما قولهم في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ
مِنْكُمْ...﴾ النساء / ٥٩.

وبعد خلط وخط، وتداخل وتحامل، تصدر الدكتور فتواها
قائلة في عبارة ركيكة «والخوارج [ومنهم الإباضية] مع إيمانهم بالله
وحرصهم على العبادة إلا أن عبادتهم لا ترضي الله ورسوله، ولا أي
مسلم صحيح العقيدة والإيمان، فتطرفهم في أداء العبادة، وتعصبهم

(١) ينظر د. مرفت عزت باني، نماذج من مذاهب الفرق الإسلامية، مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة،
ط ١٩٩١، ص ٩٩.

الزائد يخرجهم عن الدين الخفيف (١).

وهكذا تصدر الحكم، وتنفض يديها بكل بساطة، وقد قدمت
للناس علماً، وأصدرت حكماً.

والعجيب في الأمر أن الدكتور ميرفت اعتمدت على اثنين
وستين مصدراً عربياً، وسبعة مصادر أجنبية ليس من بينها مصدر
إباضي أو (خارجي) واحد. وللدارس ان يعود الى قائمة المصادر
بآخر الكتاب ليعرف من عناوينها ومؤلفيها كيف أنها تختار مصادرها
وتنتقيها بدقة استجابة لمذهب معين، وهوى متبع.

أليس من بديهيات الموضوعية العلمية أن نحكم على الرأي عودة
إلى مصدره الحقيقي، ونطمئن الى النقد والتحليل بعد عرض المبدأ
والفكرة وتقييمها.

أليس من أوليات البحث الأكاديمي الرجوع الى مصادر التاريخ
المحلي للإباضية أو الخوارج - كما تسميهم - نستخرج منها الوقائع،
وندرس فيها المبادئ والأفكار.

لعل هذا الاتجاه المنحرف من بعض الكتاب هو الذي دفع باحثاً

(١) م. س. ص، ١١١.

جامعياً شاباً هدته بصيرته الإسلامية إلى أن يصحح هذا الخطأ الذي وقع فيه المؤرخون القدامى وبعض المحدثين، فيقرر هذه الحقيقة المؤسفة ويجعلها مدخلاً هاماً لأطروحاته الجامعية وهو ينقد المصادر والمراجع، يقول مهدي طالب هاشم (١):

«رغم أن الدعوة الإباضية كانت من أهم الحركات الخارجية المعارضة للخلافتين الأموية والعباسية إلا أنها لم تلق عناية من الباحثين، مثلما لقيت الحركة الخارجية عموماً على يد بعض المؤرخين والباحثين المحدثين.

وقد اقتضت هذه الدراسات على القرن الأول الهجري بصورة خاصة لسهولة البحث فيها وتيسر مصادرها، في حين ترك الباحثون دراسة الإباضية في الشرق العربي وعمان خاصة فيقول الدكتور فاروق عمر مثلاً:

«لا زال تاريخ عمان، الوسيط والحديث على حد سواء غير مكتوب... فلم يكتب المؤرخون عن هذا التاريخ إلا في النادر وربما كان ذلك يعود إلى جملة أسباب نذكر منها: عدم توفر مادة

(١) ينظر، مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في الشرق العربي، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨١.

تاريخية أو وثائقية كافية» (١).

أمام هذه الظاهرة المؤسفة يهتدي مهدي طالب هاشم إلى الطريق السوي معتمداً على نفسه، آخذاً إياها على المسلك الوعر والعمل الدؤوب، قائلاً:

«ولهذا كان الجهد كبيراً في الحصول على معلومات تاريخية تكشف لنا تاريخ الدعوة الإباضية في المشرق العربي، خاصة إذا عرفنا أن كتب التاريخ العام لا تشير إلا إلى الحركات المشهورة التي تشكل خطراً على السلطة المركزية كالحركة الإباضية التي شملت حضرموت واليمن وامتدت إلى الحجاز في سنة (١٣٠هـ).

كما لاحظنا البلاذري، والطبري، والأزدي، يتكلمون بإسهاب عن حوادث هذه الحركة، ولكن هذه المصادر لا توجد فيها سوى إشارات لا تتعدى أسطراً قليلة عن تاريخ الدعوة الإباضية في أطراف الخليج العربي الشمالية والغربية كالْبصرة وعمان فكان لا بد من البحث عن مصادر جديدة لتوضيح الغامض من تاريخ هذه الدعوة، فكانت كتب التاريخ المحلي خير عون لنا في إظهار ما خفي من نشاط

(١) مصدر سابق.

سري وتوضيح المبهم فيما له علاقة ببحثنا (١).

إن المنهج العلمي المعتمد على المصادر الإباضية نفسها هدى الباحث الى أن يصل في سنة ١٩٨١ الى نتيجة معاكسة تماما لما وصلت اليه الدكتوراه مرفت في سنة ١٩٩١، والنتائج تبنى على المقدمات كما يقول المناطقة فما هو الحكم الذي توصل اليه؟ يقول في خاتمة البحث:

«اتضح لنا من خلال دراستنا الوثائق التاريخية التي حصلنا عليها أن الدعوة الإباضية نشأت وترعرعت في مدينة البصرة في القرن الأول الهجري، وقد قام بتأسيسها مجموعة من التابعين، وقد برز من هؤلاء الدعاة جابر بن زيد وعبدالله بن إياض، وقاموا بتأسيس النظام السري في الدعوة، أو ما يعرف لدى الإباضية بمرحلة الكتمان وقد دلت هذه المرحلة على نضج سياسي، ويظهر هذا واضحا من خلال الأساليب التي اتبعوها في علاقتهم التنظيمية في الدعوة لمذهبهم. ولم تستطع السلطات المتعاقبة في البصرة أن تضع يدها على هذه المنظمة السرية للدقة والتحفظ الذي أحاط بها الدعاة أنفسهم.

وقد ظهر لنا ان هذه الفرقة كانت على خلاف عقائدي وسياسي

(١) مهدي، الحركة الإباضية، ص ١٦.

مع فرق الخوارج المتطرفة كالأزارقة والنجدات، حيث امتازت هذه الفرقة بمواقفها المعتدلة، فلم تكن تكفر المسلمين المخالفين لهم بالمذهب، واتضح لنا ان هذه الميزة هي إحدى مبررات بقائهم كمذهب اسلامي يمثل استمرار عقائد المحكمة الاولى حتى تاريخنا المعاصر.

... وقد ظهر لنا من خلال هذا البحث - وخلافا لما كان سائدا لدى الباحثين المستشرقين والعرب - أن العلاقة بين الإباضية وعبدالمالك بن مروان خاصة، والأمويين بصورة عامة لم تكن علاقة ودية كما ذهب إليه الباحثون، لأن دراستهم لم تحط علما بالعقائد الإباضية، ولعدم اطلاعهم على مصادر إباضية أصيلة (١).

فالعلة اذا كما اهتدى الى ذلك هذا الباحث الشاب تكمن في كسل الباحثين أو في نزعاتهم التعصبية، أو في اغترارهم بما في الكتب القديمة من معلومات دون تمحيص أو نقد. فإن المعلومات التي ينبغي الإعتماد عليها عند إرادة الحكم على رأي أو موقف أو مذهب لا بد أن تكون مستقاة من المصادر الأصلية أي من النبع ذاته، ولا تكتفي بالجداول التي تكون عادة عرضة للواردين والصادرين.

(١) المصدر السابق ص ٣١٤.

خصائص التراث الفكري العماني

إن المتصفح للتراث الفكري العماني يندهش لهذا الفيض الغزير من الإنتاج الفكري ولا سيما في مجالات العقيدة، والفقه، والأدب فعلى الرغم مما عرفه تاريخ عمان القديم من تقلبات سياسية، فإن أهله لم يخلوا قط على الفكر الإنساني والإسلامي بفيض علومهم الزاخرة تلك.

وآية ذلك هذه المطولات التي تجعل المرء يتساءل عن مواهب أولئك المؤلفين، وجددهم، واجتهادهم، وإخلاصهم للعلم وتفانيهم في خدمته. أي انقطاع للعلم هذا الذي يسمح لأحدهم أن يؤلف قاموساً في الشريعة يبلغ تسعين جزءاً، أو ينظم أرجوزة تجاوز خمسة آلاف بيتاً؟ وهو لا يفعل ذلك بوحى العاطفة التي لا يقيدتها قيد، وإنما هو يكتب في إطار معين، وموضوع محدد.

والحق إن الإعجاب بغزارة التراث الفكري العماني يزداد مع الأيام قوة، والرغبة من الدارسين في متابعة هذا الفكر لتتضح من وراء ما تطالعنا به المؤلفات المهمة بتاريخ عمان الثقافي يوماً بعد يوم.

إن أهمية هذا التراث وثرأه المعرفي يدفعنا إلى التحدث عن

الجوانب المضيئة في هذا التراث، والوقوف وقفات تأمل واعتبار عند بعض تلك الشخصيات العلمية الفذة التي تميزت بالإخلاص للعلم وحده، وتفانت في سبيل تدوينه ونشره، وغالبت عوامل الزمن والظروف القاسية منكبة على التأليف والتقييد غير آبهة بما حولها من ضجيج الفتن، ومناوشات الإحن.

وتتنوع المواقف بتنوع التخصصات فهذا عالم ضليع في اللغة والآداب، وذلك فقيه لا يشق له غبار في التشريع والفتيا، إلى آخر يبهرك بدقة فهمه في مجال أصول الفقه إلى آخرين يجمعون من كل علم بطرف حتى إنك عند ما تقرأ لهم في هذا الميدان تجزم إنهم متخصصون فيه، ولكنك ما تلبث أن تغير رأيك لأنك تجددهم أضلع وأعزر في تخصص آخر.

ويكفي شاهداً على ما نزع من أن نتذكر الأقطاب الذين يفتخر بهم الفكر الإسلامي بل الفكر الإنساني لما وهبهم الله من عبقرية، وسداد رأي، وعمق علم، من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، هذا العبقرى الذي يعد نادرة قلما جاد الزمان بمثله، إذ يكفي أن نقول عنه إنه واضع علم العروض والقوافي في الشعر العربي، ومخترع الشكل للكتابة العربية، ومرسي أسس النحو والصرف، يكفي أن

نذكر هذه الحقائق بإجمال حتى يذهب الفكر الى تفاصيل علمية لا ينتهي الفكر عندها الى حد.

ولنتذكر في هذا المجال علما لغويا آخر تجاوزت شهرته الآفاق وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (١) الذي أصبح مضرب المثل في حافظته القوية وذاكرته النادرة، ما زالت تشهد به مؤلفاته اللغوية القيمة مثل الجمهرة، والاشتقاق، والملاحن، وهل ننسى محمد بن يزيد الشهير بالمبرد إمام المدرسة البصرية في النحو، ومؤلف كتاب الكامل في اللغة والأدب الذي يعد عند الأدباء واللغويين منذ القديم من أمهات الكتب. ويعتبر عند المحدثين من أهم المصادر اللغوية الأدبية لا يستغني عنه الباحث في هذين الاختصاصين.

إن الفكر العماني أغنى الإسلام بعلمائه، وقادته، وأدبائه، وتجاوز حدوده الإقليمية لينشر الحق والخير والجمال في مناطق بعيدة عن حدوده الإقليمية براً وبحراً، وما تزال الآثار الباقية في الهند والصين وشرق إفريقيا تشهد له بذلك.

هذا الثراء المعرفي الإنساني الضخم يحثنا على الوقوف عند هذا

(١) ينظر، محمد بن الحسن بن دريد، حياة من أجل الأدب لمحمد صالح ناصر، عمان، ١٩٩٢.

التراث وقفة التأمل، ويتطلب منا استلهام العبرة، وإذا كان ذلك له مجالاته في ميدان التأليف والتعليم، فلا أقل من أن تقف إذا مع هذا التراث وقفات استعراضية ان لم نتعرف منها على الخصائص والقسمات، فلا أقل من أن نتملى في السمات العامة والملامح المميزة. ولكنني أود قبل أن استعرض مميزات هذا التراث أن أقف عند بعض الاشكاليات المتعلقة بهذا الفكر.

إشكاليات دراسة التراث الفكري العماني

أولاً: لعل من أبرز الإشكاليات التي تعترض الباحث في تاريخ الفكر العماني ما يواجهه من صعوبة الوصول إلى جمع المعلومات والتثبت منها والتوثيق لها، لا سيما فيما يتعلق بتاريخ أعلام الفكر، إذ قلما نعثر في التراث العماني على التراجم والسير، ونحن حين نعثر على بعض المعلومات عن شخصية بارزة ما، لا نعثر عليها الا متناثرة هنا وهناك تجمع أطرافها جمعاً بعد عناء، ويلم شتاتها بعد جهد.

ويبدو لي أن المهتمين بالتراجم العمانية كانوا قلة، بل لعلهم من الندرة بمكان. وآية ذلك أننا عندما نبحث عن ترجمة عالم عماني لا نجدها إلا في كتب المغاربة من مثل طبقات المشايخ للدرجيني، والسير للشماخي. والجواهر المنتقاة للبرادي وغيرها.

وهذا إن دل على التواصل الحميم الذي كان بين المشرق والمغرب من جهة فإنه يدل على أن هنالك أسباباً جعلت العلماء لا ينصرفون إلى هذا الفن قدر إنصرافهم إلى الفقه، واللغة، لأسباب نفسية وموضوعية.

ولولا ما تركه لنا أمثال الشيخ السالمي، وابن رزيق، وبعض

المؤرخين المعاصرين من أمثال الخصيبي، والسيابي، وعبدالله الطائي، إذا لصعب على المرء أن يتوصل إلى معلومة تضيء له السبيل وتساعد على تفسير بعض الأحداث أو تشرح له بعض المواقف.

من هنا يغدو الاهتمام بهذا الجانب أمراً حيوياً، وضرورة أساسية لأن علم التراجم أقصد تراجم الرجال يساعد الباحثين على معرفة الجوانب الغامضة من تاريخ الفكر العماني، ويضع أرضية لازمة لكثير من الاختصاصات الأخرى مثل الحديث، والفقه، والأدب، والاجتماع.

ثانياً: إن الفكر العماني لم يتعرض للإهمال في جانبه الفقهي أو الكلامي أو التاريخي وحسب، وإنما تعرض إلى ذلك في جانبه الأدبي أيضاً، علماً بأن هذا الأدب يعد باعتراف كل الدارسين المحدثين المهتمين بهذا الأدب - قمة في الصدق والتفاني، ويتميز بخصوصيات إنسانية عالية في مواقفه ورؤاه، يقول الدكتور إحسان عباس: «وعلى ما كانت تشهده العصور السالفة من عصبية مذهبية، وتطاحن عقائدي اهتم بعض الرواة برواية شعر الخوارج، ونال من تقديرهم نصيباً، وهو وإن يكن شعراً جاء عفو الخاطر في أكثر الأحوال، فإنه يتميز بالصدق والإخلاص، كما يتميز بالقوة، وتلك صفات قربته

إلى نفوس الرواة وحببته الى قلوبهم، هو شعر يمثل صورة كبيرة
لناحيتين تشغلان النظرية النقدية في جميع الأزمان وهما:

التلازم الكامل - أو شبه الكامل - بين الفن والعقيدة، والتلازم
بين الشعر ونقد الحياة، ومن هاتين الناحيتين يبدو لي أن جمع الشعر
الخارجي في نطاق يحمل في ذاته مكافأة على ما يبذل في سبيله من
جهد... (١).

هذا التقدير النسبي الذي يشير اليه الدكتور إحسان عباس من
الرواة القدامى - وهذه الخصائص الرفيعة التي تحتل مرتبة عالية في
الأدب الإسلامي لم تغر الباحثين المعاصرين بدراسته والتعمق فيه
تأثرا ولا شك بموقف الدارسين القدامى ميلا منهم الى الأسهل
والأيسر في البحث. وهو يشير الى ذلك قائلاً:

«منذ أن كتبت الدكتور سهير القلماوي رسالتها في أدب
الخوارج، وتصدى الاستاذ أحمد الشايب للحديث عن أدبهم في
كتابه الشعر السياسي في العصر الأموي، لم يكتب فيهم - من الزاوية
الأدبية - شيء آخر ذو بال، ولم يلق شعرهم وأدبهم عناية مجددة،

(١) د. احسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤، ص ٨.

وربما كان ذلك عائداً إلى أن الأمثلة التي تستمد منها الأحكام النقدية
ظلت محدودة في كميتها، أو مبعثرة في مظانها (١).

والواقع إن هذا الرأي الذي يعود الى سنة ١٩٦٢ لم يتغير كثيراً
ونحن على مطالع سنة ١٩٩٤، لأن الدراسات التي ظهرت طوال
هذه الفترة لم تأت بجديد، أو هي تكتفي بجمع النصوص دون
الجرأة على تحليل المضامين تحليلاً موضوعياً، ونقد المواقف والرؤى،
ونقد هذه التجربة الشعرية التي تغني ولا شك الأدب الإسلامي
وتمده بالقوة والأصالة.

وقد تفتن إلى هذه الظاهرة الشهيد سيد قطب، ولعله من
أوائل الباحثين الإسلاميين سبقا إلى التنويه لما لهذا الأدب من
خصائص إسلامية رائعة حيث يقول: «وكان معظم الخوارج عرباً
صرحاء من البادية، وانضم اليهم نفر من الموالي، وقد نبغ فيهم
الكثير من الكثير من الشعراء والخطباء عرفوا فصاحة اللسان ونصاعة
البيان، وقوة الجنان مع تخير اللفظ وجودة المعنى، وقوة السبك،
وبراعة الأسلوب وعمق التأثير، وسلامة المنطق، والبديهة الحاضرة،
والجواب المسكت يشترك في ذلك رجالهم ونساؤهم على السواء (٢).

(١) المصدر السابق، ص ٧.

(٢) محمد صالح ناصر، مكانة الاباضية في الحضارة الإسلامية، الحلقة الأولى، سلطنة عمان،
١٩٩٢، ص ١٤١.

إن الاحتكام الى النظرة المذهبية، حالت في كثير من الأحيان دون الاستمتاع بروائع الأدب الإسلامي بعيدا عن جدال أهل الكلام واختلافات الفقهاء، ونزاعات المؤرخين. ولم تفرق هذه النظرة الضيقة بين مشهور ومغمور، ولا بين أصيل ودخيل.

فالنظر في المصادر التي ترجمت لمحمد بن دريد الأزدي العماني المتوفى سنة ٣٢١ هـ، يجد أن أغلبها مصادر قديمة مثل معجم الأدباء لياقوت، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، والفهرست لابن النديم، ومروج الذهب للمسعودي، والأماشي لأبي علي القالي، والمزهر للسيوطي، والموشح للمزرباني، ويلحظ أن أخبار ابن دريد في هذه المصادر شحيحة لم تعطه كل ما يستحق من عناية تساوي منزلته ومكانته العلمية. . على أنه يجد في الوقت نفسه، اهتماما لبعض من كانوا تلامذة لابن دريد نفسه مثل الإصفهاني، والقالي، والمزرباني، وغيرهم.

وقد يجد المرء نفسه أمام هذه الظاهرة المحيرة دون جواب مقنع، كما وجد نفسه أكثر من باحث ونحسب أن الذي يفسر هذه الظاهرة تعصب بعض كبار الكتاب العرب في الماضي وانصرافهم عن الأدب

الإباضي، باعتباره مما كتبه الخوارج بفئاتهم المختلفة عن وهم وتحامل، فقد لوحظ مثلا تحامل أبي الفرج الإصفهاني صاحب الأغاني عليهم، وهو الذي تتلمذ على ابن دريد فلم يورد سوى نصف قليلة من أخباره وأشعاره، كما وقف هذا الموقف نفسه معاصر لابن دريد وهو ابن قتيبة على شهرته، ويمكن ان نضيف اليهم ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء الذي لم يشر الى شيء من أدب الخوارج. !

ثالثا: إذا كان هذا هو الانطباع العام الذي يخرج به دارس هذا التراث في الكتب القديمة، وهو انطباع مؤسف كما لا يخفى، فإن الموقف قد تغير الآن والحمد لله فأصبحت المطابع والمؤسسات العلمية الجامعية تفيدنا من حين الى آخر ببحوث تهتم بهذا التراث في الجانب الفقهي والجانب التاريخي والجانب الأدبي.

ومن الانصاف والموضوعية أن نشيد بجهود بعض الكتاب الجامعيين الذين هداهم حبهم للمعرفة وإخلاصهم للبحث أن يتجاوزوا تلك النظرة المذهبية الضيقة، فتوصلوا بجدهم واجتهادهم الى المصادر ينقبون ويبحثون، لا هم لهم الا الحقيقة. فظهرت كتب وبحوث جادة غيرت كثيرا من الآراء التي كانت من قبل تنقل عن بعض المصادر القديمة على أنها مسلمة لا تقبل النقاش أو

التعقيب (١). وهذا خطأ يتنافى مع العلم نفسه، لأن العلم اكتشاف متجدد، وبحث مستمر، واعتراف بالحق ولو كان مرأ.

ومن هنا تتبين لنا مزية الثقافة الجامعية التي لا تخضع لغير الموضوعية العلمية حافزاً ودافعاً، لأن الحقيقة قد يتوصل إليها الباحث النزيه الذي يخلص لعقيدته وأمته، ولا يبعده عنها كونه أردنياً أو سنيغالياً، أو مصرياً، أو عراقياً أو تونسياً، أو جزائرياً، بل لا يصرفه أن يعلن عنها وينشرها رغم انتهائه إلى المذهب المخالف والرأي المضاد.

ولا أحسب أن هذا التضافر من كل انحاء العالم الاسلامي جاء اعتباطاً أو صدفة، وإنما هو وليد نزعة إسلامية أكيدة إلى التقارب، وإحساساً أخوياً عميقاً يسعى إلى توحيد مشاعر هذه الأمة وتناسي خلافاتها عملاً بقوله تعالى: -

﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾. البقرة/ ١٤١.

وأحسب أن الفضل الكبير في هذا التوجه يعود إلى المجهودات

(١) نشير مرة أخرى إلى كتاب قراءة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم..

الجدادة التي أخذ أهل الدعوة يبذلونها في السنين الأخيرة، وعيا منهم بدورهم التاريخي إلى توحيد المسلمين، والعمل الدؤوب لجمع كلمتهم. وعلماءهم المخلصون المفتحون هم أيضاً على وعي بتجاوز ما في كتبهم القديمة من صراعات، واختلافات، ومواقف.

وقد بدأنا نلمس هذا التحول الجاد في العشرينيات في كتابات المرحوم الشيخ أبي اسحاق اطفيش الذي نفاه الاستعمار الفرنسي من الجزائر ومن تونس (١) لنشاطه السياسي الوطني إلى مصر فكان ذلك النفي خيراً وبركة.

رابعاً: إن ذلك الواقع التاريخي المؤسف الذي أشرنا إليه سابقاً من جهة، والتطور المبارك الذي حصل في مسار الفكر العماني مع بداية النهضة الثقافية في السلطنة في بداية السبعينيات، دفع العلماء والمسؤولين - ورجال الفكر والثقافة إلى استدراك ما فاتهم في هذا المجال فكان من مشمولات النهضة الثقافية العمل بجهد ودأب ووعي وتبصر لنشر التراث الفكري العماني باعتباره لبنة من لبنات النهضة، ولا أدل على ذلك من تخصيص وزارة كاملة تعنى بهذا الجانب وهذا

(١) ينظر، محمد صالح ناصر، الشيخ ابراهيم اطفيش في جهاده الاسلامي. ط ٢، مؤسسة الضامري، عمان، ١٩٩١ م.

أمر قلما رأينا له نظيرا في البلاد العربية الأخرى.

وأحسب أنه من حق هذه النهضة علينا أن نشرها بالملاحظات الجادة، ونواكبها بالنقد للحصول على الأجود والأكمل والأتقن، ولا عيب إطلاقا من الاستفادة من التجارب السابقة في الميدان، فننظر في مناهج البحث العلمي، ونطبق نظريات التحقيق عند نشر التراث المخطوط ونستغل الإمكانيات المادية والتقنية والفنية المتاحة إلى أبعد حد حتى نخرج هذا التراث للناس بكيفية تحببه اليهم وتقربه منهم.

وليسمح لي بأن أتقدم ببعض الملاحظات في هذا المجال بكل تواضع وإخلاص.

(أ) - إن الساحة الثقافية تشكو فراغا في هذا المجال التراثي الهام، وهو مجال يتطلب مجتهدين مخلصين من الأساتذة والطلاب، يرابطون في هذه الواجهة مرابطة جهاد، إذ المتوجهون إلى هذا الاختصاص عادة ما يكونون ندرة قليلة، لأن هذا التوجه يتطلب صفات علمية، ومميزات نفسية ووسائل مادية وأدبية كافية.

فإن تحقيق التراث والكشف عنه يتطلب سعة في الإطلاع،

وتركيزا في المعارف، وتحملا لمشاق البحث، وحدا كافيا من التفرغ، وقبل كل هذه الصفات رغبة وميلا، بل أكاد أقول هوى وعشقا.

ونحن إن نظرنا إلى طبقتنا المثقفة نجدها أصنافا غير مؤهلة التأهيل الكافي لخوض هذا الغمار، فإن أغلب المتعلمين يتجهون إلى الميدان التجاري أو الصناعي، مدفوعين بهذا التيار المادي الذي أصبح يلوث حتى الهواء الذي نتنفسه، وهذا التوجه أضعف فيهم حاسة التذوق العلمي، ولذة الكشف المعرفي. كما أن توجه أغلب الطلاب اليوم إلى الاختصاصات التكنولوجية والعلمية وما أشبه، يبعدهم بحكم اختصاصهم عن الميدان منذ البداية. وتوجه المتخرجين في الجامعات إلى الإنهالك بالأعمال الوظيفية والإنشغال بالتدريس، وأحيانا إلى المهام الاجتماعية - وهي ضرورية - حالت كلها دون أن يبقى الوقت الكافي للعكوف على مخطوط، أو التفكير في الجلوس إلى نقد تراث أو تحقيقه.

أما المشايخ الذين نعول عليهم في ميدان نشر التراث الفقهي فأغلبهم بحكم المسؤوليات التي تثقل كواهلهم لا يجدون الوقت الكافي لذلك. إننا لا نستطيع أن نحقق ما نصبو إليه ما لم ندعم هذا الميدان أولا، وقبل كل شيء بالطاقة البشرية، ونوفر العناية الكافية

لمساعدة الطلبة الراغبين في ذلك .

(ب): ان الكثير مما طبع أو صور من هذا التراث في حاجة ماسة إلى إعادة نظر لأن بعض ما صور تصويرا دون تصحيح، أو طبع طبعا دون تحقيق، يحتوي على الأخطاء الشكلية، وبعضه على أخطاء علمية، وهي في مجملها قد تجني على قيمة الكتاب وتقص منه . وبعض الأخطاء كما لا يخفى تشوه النص تشويها تاما، وقد تحرفه عن أصل فكرته إلى فكرة مناقضة تماما، إضافة إلى أن إعادة الطبع - كما هو متعارف بين أهل العلم - تقتضي إعادة النظر في الأصل بتصحيحه وتحقيقه، والتعليق عليه، وإثراء هوامشه بالإحالات إلى المصادر والمراجع، لا سيما ونحن نعلم أن أغلب تراثنا ألف في ظروف تاريخية خاصة، مما يتطلب منا اليوم تحقيق بعض ما جاء فيه من أفكار ومواقف، ومبالغات، وتحكم إلى العاطفة والهوى . حقا إن من قواعد النشر العلمي الحفاظ على الأصل، ولكن التعليق على بعض الأفكار في المقدمة أو الهوامش يثري الكتاب ولا ينقص منه شيئا . أما أن نصور الكتاب كما هو بحروفه المتأكلة، وإخراجه السيء، فمما يجد القارئ معه عنتا كبيرا فيزهد في اقتنائه، بله قراءته .

قد يعترض معترض بأن الكتاب إنما يقتني لأفكاره ومحتواه، لا لشكله ومظهره الخارجي، ذلك حق، لكن الشكل هنا يصبح جزءا مكملا للمضمون، كما أنه لا يمكن بحال أن تغفل الجانب الجمالي في الأشياء كلها لأن الله ركب الإنسان كذلك .

إن الاستعجال والمبادرة الفجة أحيانا تدفع بعض الناس إلى طبع كتب لم يبذلوا فيها أي جهد يذكر لا تحقيقا، ولا تعليقا، ولا دراسة، بل ولا تصحيحا للأصل .

وقد رأينا بعض من نشر كتابا في الفقه فلم يكلف نفسه عناء مراجعة ما فيه من المسائل، وان بعضها ليندى لها الجبين حقا، ورأينا كتابا وقد كتب على غلافه تحقيق وتعليق فلان وعندما عدنا إلى محتوى الكتاب لم نجد له مقدمة، ولا هامشا، ولا حتى تعريفا بالمؤلف والمؤلف . وتساءلنا أين التحقيق والتعليق اذا؟ فأين الأمانة العلمية؟ وأين نزاهة المقصد؟ وشرف الكلمة من وراء هذه الاعمال؟

إن رأى المحقق أو الناشر أو المعلق، أو المصحح لا بد أن يكون حاضرا في هوامش الكتاب، أو في مقدمته، أو في مدخله، أو في تمهيده . أما السكوت المطلق عن هذه السليبيات فلا تفسر إلا بالرضى

(ج) : ان تراثنا الفقهي والتاريخي بصفة خاصة في حاجة إلى دراسة أكاديمية، وتحقيقات علمية موضوعية تبسط المعلومات للقارئ المعاصر، وتجعله قريبا منها، فإن القارئ المعاصر مهما يكن صبره جميلاً ووقته فسيحاً يجد صعوبة بالغة في تحقيق مسألة من بعض المطولات، لأنه أساساً لا يستطيع الإهتمام إلى مكانها إلا بعد مشقة وجهد.

إن القارئ المعاصر الذي أصبحت الحياة تلتهمه بمشاغلها المعقدة يفضل الوصول إلى المعلومات من أيسر سبيل وأخصر طريق، فإذا اضطر إلى العودة ليحقق مسألة ما في أحد هذه الكتب القديمة وقف أمامه الأسلوب المعقد حائلاً، وتعددت الأقوال بين الراجح والمرجوح، وقول فلان ورأي فلان، فيحтар في الوصول إلى خلاصة مركزه أو رأي مقنع يرتضيه أو يوضح الإشكالية أمامه. ولنضرب لذلك مثلاً إن (شرح النيل) هو كتاب قيم ومعتمد أساسي في الفقه الإباضي لا شك في ذلك ولا ريب، وقد بذل مؤلفه قطب الأئمة الشيخ اطفيش (رحمه الله) غاية جهده ليقدم العلم الغزير في هذه القضية أو تلك، وأظهر تسامحاً إسلامياً في تحقيق المسائل قل له نظير

في تلك المرحلة، غير أن الطريقة التي سلكها وهي طريقة القدامى في التأليف لا تساعد القارئ المعاصر المتعود على الأسلوب البسيط، من أن يصل إلى مبتغاه سريعاً. ومن هنا نتساءل لماذا لا يتوجه بعض علمائنا متكاتفين، جادين، إلى إخراج المعلومات من هذه الكتب إخراجاً جديداً، ويصنفونها تصنيفاً معاصراً، بأن يحرروا ملخصات مركزة لكل قضية من القضايا الفقهية مقيدين تلك المعلومات بمنهج عصري مرتبة حسب الحروف الهجائية، ويثرونها بالفهارس والمصادر التي تعين الباحثين والدارسين على الوصول إلى محتواها العلمي؟ ولا يخفى ما في هذه الطريقة العلمية من فوائد، بعضها ربح الوقت، وتنظيم المعلومات، وتقريب التراث من الباحثين وتحبيبه إليهم.

وللطريقة نفسها، والغرض عينه يمكن أن يعكف أساتذة متخصصون في التاريخ على كتب السير لجمع معلوماتها واستخراج مادة علمية غزيرة منها، تكون معجماً لأعلام الإباضية على غرار المعاجم العلمية المعروفة في التراث الإسلامي. وبهذه الطريقة نحسب التراث لأبنائنا، ونسهل طرق العمل للباحثين والدارسين في حقل الدراسات الإسلامية.

إشكاليات الكتابة عن التراث

أولاً: ينبغي لمن يتصدى للتأليف في التاريخ وقضاياها، المتعلقة به أن يضع في اعتباره المسؤولية العلمية الخطيرة التي يتحملها لأنه لا يكتب عن نفسه أو لنفسه، وإنما هو يكتب عن تاريخ أمة ويكشف عن جزء من الحضارة الإسلامية. ويقدم ذلك لكافة القراء في العالم الإسلامي، وغير الإسلامي وأن مؤلفه هذا سيتخذ في يوم من الأيام مصدراً يعود إليه الدارسون ويستندون إليه في كتاباتهم، ويعتمدونه مرجعاً يبنون عليه أحكامهم. وفي ندرة المصادر والمراجع العلمية الهامة عن الجوانب المجهولة من التاريخ الإسلامي، سيضطر كثير من طلاب المعرفة إلى اعتبار تلك المعلومات التي قد يجانبها الصواب أحياناً - حقائق لا جدال فيها بحكم أن الذي جاء بها أو انتهى إليها مؤلف يفترض فيه المعرفة والأمانة العلمية. وكثيراً ما رأينا بعض هؤلاء المتسرعين يتسببون في تشويه الحقائق التاريخية، ويزعزعون بعض الأصول التي تعتبر ثابتة لدى بعض الفرق والمذاهب الإسلامية. ففي بعض ما ألف حديثاً نجد تضارباً واضحاً بين المؤرخين، هذا يثبت عكس ما يذهب إليه ذاك، هذا التناقض في نقل المعلومات أو اثباتها يجعل القارئ العادي متذبذباً، حائراً أبرأي هذ

يأخذ أم برأي ذاك؟

حقاً قد يكون اختلاف الرأي دليل ثراء، واتساع أفق، وحرية فكر، ولكن اختلاف الرأي على بعض المسائل الأصولية أو حتى الفرعية إذا كانت لها علاقة بالعقيدة أو بالعبادة أو المعاملات قد تربك الناشئة والعامة وتجعل الناس مختلفين شاكين.

ثانياً: لا بد من اعتماد الطرق الحديثة في إخراج مؤلفاتنا إن كنا نقصد بها إفادة الفكر الإسلامي، وكسب المكانة اللائقة بها في المكتبات العالمية. إن توثيق المعلومات بديهة من بديهيات البحوث المعاصرة، والإحالة إلى المصادر والمراجع صفة لازمة لبحث يتسم بالجدية والأصالة، ومع ذلك فإننا نرى كثيراً مما نصدره يفقد أبسط قواعد التحقيق والتوثيق والتعليق. وأنا متأكد أن بعض المؤلفين لا تعوزهم المقدرة بقدر ما يغلبهم الكسل والرغبة في سرعة إنجاز ما يكتبون، لأن توثيق المعلومات بطريقة علمية قد لا يصبر عليها إلا من أوتي نفساً طويلاً وصبراً جميلاً.

إن من أهم طرق التأليف إيصال المعلومات إلى القارئ من أيسر السبل وبدون جهد ملحوظ، ومما يحقق هذا الغرض أن يكون

المؤلف - اذا كان أكاديمياً او مطولاً - محتويا على الفهارس التي تيسر الوصول الى مادة الكتاب، عن طريق فهارس الأعلام والقبائل، والفرق، والدوريات، والأحاديث، والشعر، والآيات القرآنية، والأماكن، والبلدان وغيرها مما هو معروف، وبهذا نكسب وقتاً ثميناً نصرفه في عمل شيء آخر. فإذا كان طموحنا يرقى إلى أن نقدم مؤلفاتنا الى طلاب المعرفة وناشدي الحقيقة العلمية في كل مكان، فلا بد من تقديم هذه المعلومات وأخذها بالإعتبار، وإلا ظل عملنا مفتقراً إلى الصفة العلمية.

ثالثاً: إن من صفات الأسلوب العلمي أن يخلو قدر الإمكان من المبالغات المغرضة، والعاطفة الحادة، فان اعتماد أسلوب السب والشتم والتعريض بالآخرين، وتسفيه الرأي المعارض بطرق استفزازية لا تأتي الا بعكس النتيجة، بل انها تحكم على الكتاب وصاحبه أحكاماً لو توقعها أو تخيلها صاحب الكتاب لغير من طريقة عرضه لا محالة.

لقد آن الأوان أن ننقي تراثنا من الأباطيل التي تحتكم إلى العاطفة المذهبية الضيقة فتتورط في مواقف وتصدر أحكاماً ضد بعض الشخصيات الإسلامية، وبعضهم من صحابة رسول الله المبشرين

بالجنة،، والأولى بنا أن نعمل بكلمة الخليفة التقي عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه حيث قال متحدثاً عن الفتن التي اشتعل أوارها بين المسلمين: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنظهر منها ألسنتنا، لأن الحقيقة في قضايا التاريخ تبقى نسبية على كل حال. إننا نعثر من حين إلى آخر في بعض مصادرنا العقدية والتاريخية، والفقهية على ما يوحى ببعض ذلك، كما نعثر من حين إلى آخر على تطرف في تركية النفس، ومبالغة في التنزيه مما يتنافى مع تعاليم الإسلام التي علمتنا أن نقول: ﴿ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ النجم / ٣٢.

إن نظرة الإعجاب المبالغ فيه تطالعنا من حين إلى آخر من خلال بعض الكتب الحديثة الخاصة بالتاريخ، وإن بعضها مليء بالمبالغات التي تحتاج إلى التثبت والتحقيق، ولا ينبغي أن تذهب بنا الحماسة إلى الحد الذي تطفئ فيه على العقل، إذ أن نسبة الكرامة والقداسة إلى العلماء والصالحين والأولياء، وإضفاء الصفات الكمالية على كل من هب ودب يمثل تلك الكيفية المبالغ فيها تجعل الباحث التنزيه يشك في صحة الكثير منها، وإذا كان عذر المؤلفين القدامى هو أنهم كتبوا هذه المؤلفات في عصور طغت فيها العاطفة على المؤلفات الإسلامية من كل جانب، وشاع فيها الفكر الصوفي، فأبي عذر

نلتزمه لكتابنا المعاصرين الذين نفترض فيهم الموضوعية والاعتدال قدر المستطاع.

إن العاطفة والحماسة والاندفاع هي الطابع الغالب على ما كتب في هذه القضايا الحساسة في التراث الإسلامي للأسف الشديد ولا سيما عند الحديث عن المذاهب، ومن ثم فقد درج بعض المؤرخين المعاصرين على تصنيف المؤلفين حين يقصدون إلى الكتابة حول هذه المسائل إلى تقسيم مصادرهم إلى مصادر تنتمي إلى المذهب ومصادر لا تنتمي إليه، تدقيقاً وموضوعية وتعبيراً غير مباشر عن الإحتراس لما لمسوه في بعض هذه المؤلفات من الاندفاع والمبالغة أحياناً.

حقاً قد لا يخلو أي كتاب من هوى وعاطفة وموقف، وذلك أمر ضروري، ولكن على المؤلف أن يقدم ذلك بطريقة لا تنفر عنه الناس، ممن يفترض فيهم اختلاف في الرأي، أو المذهب، أو الفكرة. فإننا لا نكتب لتبقى كتبنا في دائرة خاصة، أو في مكتبات مغلقة، وإلا فقد التأليف أهم صفة من صفاته وهي التبليغ إلى الآخرين، وفقد المؤلف أهم ما يهدف إليه وهو الإقناع والتأثير.

رابعاً: يلاحظ في السنوات الأخيرة ظهور بعض الأقلام الشابة

التي دفعها طموحها وحماسها إلى البروز في ميدان التأليف، وهذه ظاهرة صحية تبشر بخير كثير، وتبعث على التفاؤل والاستبشار، لأنها ستساعد على خروجنا من دائرة العزلة الثقافية التي نعانيها، وتزيل عنا قليلاً من الحيف والإهمال الذي ما فتىء يلاحقنا، ولكن لهذه الظاهرة سلبيات ينبغي معالجتها بجرأة وموضوعية، فعلى الرغم من أن الاندفاع في هذا الطريق الصعب وليد طموح مشكور، فإنه كثيراً ما أساء إلى المؤلف وهو في بداية الطريق، وهذا يعود فيما أحسب إلى أمرين اثنين:

أولهما: توجه بعض المؤلفين الشباب إلى الكتابة في موضوعات ليسوا فيها ذوي اختصاص، وإنما هم قرأوا في هذا الفن أو ذاك كتاباً أو كتباً فخليل إليهم أنه باستطاعتهم أن ينسجوا على ذلك المنوال دون أن يكون لهم زاد علمي كاف.

ثانيهما: إن بعض هؤلاء الشباب تنقصهم التجربة في ميدان التأليف بل الكتابة، فالتأليف ينبغي أن يسبق بمران طويل على الكتابة، فالذي يجرؤ على تأليف كتاب وتقديمه للناس، يفترض فيه مران طويل في كتابة المقالات، والبحوث، والدراسات في ميدان اختصاصه، والا تعرض لمؤاخذة القراء له وهم في العادة لا يرحمون،

وقد قيل قديماً: «من ألف فقد استهدف».

قد يعترض معترض فيقول: اننا نعيش قحطاً فكرياً، وفراغاً ثقافياً فلا بأس اذا من تشجيع هذه البواكير، ولو كانت فجأة فبعد الفجاجة يأتي النضج، وقبل الثمرة يولد البرعم. هذا حق وصواب ولكن الى حد، فإن مثل هذه التشجيعات المادية والأدبية بترويج الكتاب في السوق، أو بالثناء على صاحبه بالشكر والتقدير كثيراً ما أوحى الى صاحبه بمشاعر نفسية قد تجني عليه أكثر مما تشجعه، إذ يخيّل اليه من خلال ما يتلقاه من تشجيع مادي أو أدبي بأنه عالم حقاً، وأنه مؤلف قدير عن جدارة، وهذا الشعور بالذات هو الذي يقعد به عند الخطوة الأولى، فلا يزداد بفضل غروره علماً، ولا يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب والإستفادة من ملاحظات غيره ممن هم أقدم تجربة، وأرسخ قدماً في هذا المجال.

إن التآليف مسؤولية عظيمة ولا سيما حين يكون الأمر متعلقاً بالكتابة في التاريخ، وفي الاجتماع، أو في الفقه، والذي يستقي هذه المعلومات عن هذه الكتب قد لا يتفطن الى أن صاحب الكتاب مبتدئ في الميدان، وبالتالي يأخذ المعلومات على أنها مسلمة، علماً أن من بديهيات البحث العلمي ما يعرف بنقد المصادر.

خامساً: إن من أهم ما يجب أن يعنى به المؤلف هو اختيار مصادره وانتقاؤها، والإلمام الكافي بأصحابها، ومدارسهم واتجاهاتهم العقدية والاجتماعية والسياسية.

والمصادر التي نعتمدها حين دراستنا للفكر الإباضي تتنوع غالباً إلى ثلاثة أنواع:

١ - مصادر إباضية باللغة العربية والأجنبية مؤلفوها إباضية.

٢ - مصادر باللغة العربية مؤلفوها من غير الإباضية.

٣ - مصادر أجنبية هي في الاغلب الأعم لمؤلفين غير إباضية، بل هم غير مسلمين، من مستشرقين، ومنصرين، واستعماريين، وغيرهم.

ومن خلال ما يؤلف حديثاً رأينا أن الكثير من الدس والتشويه والتنقيص والاتهام، إنما يعود إلى عدم التدقيق في انتقاء هذه المصادر، فكثيراً ما نلاحظ الخلط بين مبادئ الإباضية، ومبادئ الخوارج، وكثيراً ما نقرأ هنا وهناك إلصاق بعض الصفات بالإباضية، توحى بعداوة مستحكمة للمسلمين من مخالفيهم، وبعض هذه الافتراءات يشيعها بعض الأعداء الحاقدين على الاسلام. وهذا يجي عادة بناء

على جهل فاضح، وأحيانا بناء على دس جارج. والدارس الذي يعود الى كتاب المقالات والمؤرخين القدامى بصفة خاصة، يقرأ في هذا السبيل عجباً، فإن بعض هذه المؤلفات مليء بالاتهامات الباطلة، على أنها تعد الى حد الساعة عند الكثير من الكتاب المعاصرين مصادر أمينة موثوق بعلم أصحابها ونزاهاتهم. ولكي أمثل ولا أفصل فإني أحيل الى ما كتبه ابن حزم الظاهري في كتابه - الفصل بين الملل والنحل ومدونة سحنون في الفقه والمعيار المعرب للونشريسي وغيرهم.

والأغرب في هذا الصدد أن يصدر ذلك في شكل فتاوى دينية عن هيئات رسمية في بعض الدول العربية المدعية الريادة الإسلامية(١). وإن المرء ليتساءل عن التناقض المريع بين ادعاءات حكام تلك البلاد في السعي إلى وحدة المسلمين وسماحهم بصدور تلك الفتاوى المفتنة عن أعلى الهيئات الدينية في بلادهم.

واذا انعدم الوعي الديني عند أولئك المشايخ المتعصبين الحاقدين، فكيف ينعدم الوعي السياسي عند أولئك القادة المتربعين

(١) ينظر، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، المجلد الثاني، دار عالم الكتب.. الرياض، ١٩٩١.

على عروش الحكم؟

ألا يحق لنا أن نتساءل عن مصداقية إيمان هؤلاء الفقهاء الذين يستغلون مناصبهم ومنابرهم لإذكاء الفرقة والخصام بين المسلمين، وكأنهم غير مكتفين بما يشنه الغرب من حروب عنيفة وخفية لتمزيقهم وتشيت شملهم؟

إن من الوسائل التي يجندها الغرب الصليبي في هذا الصدد أقلاماً مأجورة بعضها من أدعياء الاسلام، وبعضها الآخر ممن نطلق عليهم المستشرقين. ولا بأس أن أحيل القارئ الكريم هنا الى بعض نماذج هذه الكتابات المغرضة من ذلك.

ما كتبه (الفرد بل) في كتابه - الفرق الاسلامية في شمال افريقيا كنموذج لهذا الخلط والتشويه، وكتاب - الخوارج في العصر الأموي لنايف معروف وبمعرفة المصادر نتفادى كل هذه الأخطاء المقصودة وغير المقصودة، ونضع بين أيدي الدارسين ما يعتمدونه مصدراً يعودون اليه في دراساتهم وأبحاثهم، وحبذا لو نعمل على طبع قائمة هذه الكتب نسميها القائمة المشبوهة. وينبغي أن نزيل تقليداً شاع في الأذهان وهو الإحتفاء بالمبالغ فيه أحيانا بما تكتبه عنا الأقلام الأجنبية

الأوروبية، وليسمح لي بالقول أن أغلب ما كتبه المشرقون مدسوس، وبعضه مشوب بنزعة صهيونية، أو بنزعة مسيحية لاتينية فإنهم لا يكتبون عن التراث الإسلامي إحقاقاً لحق، أو دفاعاً عن مظلوم، بل هم يكتبون لأغراض سياسية أو دينية محض، ينزعون في أغلبها إلى بث التفرقة والخلاف بين المسلمين، وزرع الشقاق والكراهة بينهم بطرق وأساليب هم بارعون كل البراعة فيها. فكثيراً ما قدموا معلومات بطريقة يحسبها القارئ العادي نزيهة سليمة، ولكنه بعد التمحيص والتدقيق، ومراجعة الجملة بربطها بما سبقها أو بما لحقها يكشف ما يعكس هذه المغالطات التي أشرنا إليها.

ومن هنا ينبغي التأكد من سلامة نية المؤلف، وهذه الملاحظة لا تعم كل الذين ألفوا عن التراث الإسلامي من غير المسلمين بطبيعة الحال، فهناك كتاب باحثون بذلوا جهداً لا تقدره الكلمات، ودارسون تحلوا بالنزاهة والإنصاف إلى حد يبعث على التقدير، وتلك صفات لا يتحلى بها إلا من كان همه من وراء التأليف استقصاء البحث عن الحقيقة العلمية المجردة، خدمة للعلم، وإثراء للمعرفة الإنسانية، وقد سبقت الإشارة إلى بعضهم في غير هذا المكان.

خاتمة:

وبعد، فهذه خواطر وملاحظات أقدمها إلى الدارسين المسلمين بصفة خاصة راجياً أن تسهم ولو بجزء ضئيل في إلقاء بعض الضوء على هذا الموضوع الهام، وتعين النخبة المثقفة من أبناء الإسلام على مد جسور المحبة والتعاون على أساس حسن الظن في الأخوة الإسلامية كما أمرنا بذلك نبينا الأعظم.

فإن الأمة عندما تعود إلى تراثها الحضاري إنما تعود إليه لتستمد منه الزاد استعداداً للمسيرة الطويلة، وتستوحي منه الخبرة تجنباً للأخطاء، وتستلهم منه الدفع المعنوي ضمناً لطول النفس، وتتشرب منه القيم والمبادئ الأصيلة حفاظاً على أصالتها ومقوماتها

والله ولي التوفيق

أهم المصادر والمراجع

- ابواليقظان، ابراهيم، ملحق السير (مخطوط) (د،ت).
- ابوكريا، يحيى بن ابي بكر، كتاب سير الائمة وأخبارهم، ت عبدالرحمن ايوب -
الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥.
- احمد سليمان معروف، قراءة في مواقف الخوارج وفكرهم وادبهم، دار طلاس،
دمشق ١٩٨٨.
- الدرجيني ابوالعباس احمد بن سعيد، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ت: ابراهيم
طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر. ١٩٧٤.
- الشماخي، ابوالعباس احمد بن سعيد، كتاب السير، وزارة التراث القومي
والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٧.
- عبدالسلام هارون، قطوف أدبية، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٨٨.
- عبدالله فهد النفيس، التراث وتحديات العصر، الكويت، ١٩٩٢.
- عبدالمجيد دياب، تحقيق التراث العربي، منشورات سمير، القاهرة، ١٩٨٣.
- علي الطنطاوي، طرق الدعوة الى الاسلام، دار المنارة، جدة، ١٩٩٠.
- فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت،
١٩٨٥.
- مهدي طالب هاشم، الحركة الاباضية في المشرق العربي، دار الاتحاد العربي،
القاهرة، ١٩٨١.
- محمد عبدالقادر احمد، دراسات في التراث العربي، القاهرة، ١٩٧٩.
- علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ط ٢، المطبعة العربية، غرداية،
الجزائر، ١٩٨٨.

فهرس

الصفحة

- معنى كلمة التراث ٥
- أهمية التراث وضرورته ١١
- تطور حركة احياء التراث ١٥
- أهمية التراث عند القدامى ٢٧
- التراث الاسلامي والاستعمار الغربي ٣٦
- التراث الاسلامي المخطوط في الجزائر ٣٩
- التراث الفكري الاباضي ٤٢
- واقع التراث الاباضي ٤٩
- واقع التراث الاباضي في العصر الحاضر ٥٣
- الفكر الاباضي المعاصر والتراث ٥٥
- خصائص التراث الفكري العماني ٦٤
- اشكالية دراسة التراث الفكري العماني ٦٨
- اشكاليات الكتابة عن التراث ٨٢
- خاتمة ٩٣
- أهم المصادر والمراجع ٩٤



مملكة فلسطين
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي